مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

يصدرها قسم التاريخ بكلية الآداب – جامعة بني سويف

المجلد الأول- العدد الرابع عشر- أبريل ٢٠٢٣م

الرقم الدولي الموحد للدوريات:

(IssN2536-9180)

قائمة المحتويات

- الافتتاحية ٣
- كلمة رئيس التحرير ١٣

أبحاث العدد

- **الجوز في مصر خلال العصرين اليوناني والروماني.....١٧**
(د. أحمد محروس إسماعيل)

- المشغولات الذهبية في مصر أيام البطالمة والرومان..... ٥٩
(د. أسماء محمد محمد البرمشاوي)

- **النكودريون وسياستهم إزاء سلاطين دلهي**
(٦٦٠ - ٧٥٩هـ/ ١٢٦١ - ١٣٥٨م).....٨١
(د. أحمد عز العرب أحمد سليمان)

- ظاهرة معجزات القديسين الشفائية في مصر في العصر البيزنطي(٢٨٤ – ٦٤٢م).. ١٣٣
(د. سهير محمد مليجي)

- الجلود وأهميتها لدى الحكومة البيزنطية خلال القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين..... ١٨١
(د. هبة رمضان محمود العويدي)

- **شجرة السرو واستخداماتها في ضوء المصادر الكلاسيكية..... ٢٠٧**
(د . محمد أحمد محمد العايق)

- دور الصوفية في نشر الإسلام بتركستان (خلال القرنيين الثالث والرابع الهجريين)..... ٣٤٨
(د. محمد فتحي محمد عبد الجليل)
- المُوسِيْقَى العَسْكريَّة ومَجَالاتُ استخداماتِها في بلاد المَغْرِب خِلَال عَصْرَي المرابطين والموحدين (٤٤٨-٦٦٨هـ /١٠٥٦-١٢٦٩م).....٢٩١
(د. فريد عبد الرشيد فريد)
- عصر صلاح الدين الأيوبي أنموذجًا للتعددية وانعكاساته على الكتابة التاريخية (٥٣٢ – ٥٨٩ هـ/ ١١٣٨– ١١٩٣م).....٣٣٦
(د . أميرة محمد شحاته أحمد)
- التطور السياسي في تشاد منذ عهد الممالك الإسلامية وحتى ظهور الدولة التشادية.....٣٧٤
(د. إبراهيم برمه أحمد)
- المستعمرات الإسرائيلية في سيناء: مدينة ياميت (١٩٧٥ـ ١٩٨٢) نموذجا.....٣٩٧
(أحمد عبد القادر محمد عبدالقادر)

عصر صلاح الدين الأيوبي أنموذجًا للتعددية و انعكاساته على الكتابة التاريخية

(532 - 589 هـ/ 1138- 1193م)

دكتوره
أميرة محمد شحاتة أحمد أبوزيد
مدرس تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب جامعة بورسعيد

الملخص:

إن التنوع العرقي والديني والاجتماعي بما يفرضـــه من اختلافات في الرؤى والمواقف من أبرز سمات المجتمع البشرى. فعندما جاء صـلاح الدين الأيوبي إلى مصـر في خضـم الصـراع حولها بين الصـليبيين والمسـلمين كانت بنية جيشـه الإقطاعي تضـم الأتراك والأكراد والتركمان وغيرهم، كما كان سائدًا على أرض مصر العنصر العربي. وقد ضمت أرض مصر بين ثناياها المسلمين والأقباط، ومن المسلمين السنة والشيعة، ومن المسلمين السنة من كانوا على المذهب الشافعي والحنبلي والحنفي والمالكي، بل وكان من بينهم المتصوفون، وضم هذا المجتمع بين أرجائه عدد من الجاليات الأجنبية كالمغاربة والأندلســـيين والبنادقة والجنوية وغيرهم، ولا يفوتنا وجود اللاتين ولو بصفة عابرة على الأراضي المصرية في ذلك العصر.

وتســـتهدف الباحثة في المرحلة الأولى من البحث رصـــد أبرز مظاهر التعددية في عناصر المجتمع في العصر الأيوبي من خلال المصادر.

وفي المرحلة الثانية تسعى الباحثة إلى دراسة انعكاس مظاهر التعددية على الكتابات المصدرية، ورؤية المؤرخين للأوضاع في العصر الأيوبي في ضوء انتمائتهم العرقية أو الدينية أو الاجتماعية؛ فعلى سبيل المثال ابن واصل الذي شهد لقادة الجهاد الإسلامي من غير العرب، ورؤية ابن الأثير للأحداث في عصر صلاح الدين ثم رثاؤه لهذا القائد في نهاية المطاف، وكساويرس ابن المقفع في وصفه لأوضاع الأقباط، وابن جبير في رصده لأوضاع الجاليات.

وفي المرحلة الثالثة تحاول الباحثة الوقوف على أبرز الدوافع والمبررات لما ورد في روايات عدد من المصادر من أشكال ومظاهر التعايش خلال تلك الفترة؛ فقد يكون البعض قد أقر بحقيقة لا يمكن إنكارها مثل التغلب على تحدي حقيقي وتحقيق النصر، أو قدرة النظام الاقتصادي الأيوبي في احتواء البعض الآخر.

The Era of Salah Al-Din Al-Ayyubi as a Model for Pluralism and Its Implications for Historical Writing (532-589 AH / 1138-1193 AD)

Dr Amira Mohammed Shehata Ahmed Abu Zeid
A lecturer in the Faculty of Arts, Port Said University,
Arab Republic of Egypt

The social, ethnic and religious diversity along with the differences in views and attitudes it imposes is one of the most significant features of the human society. When Saladin came to Egypt at the height of the conflict between Crusaders and Muslims over Egypt, the construction of his feudal army included the Turks, Kurds, Turkmen and others. Moreover, the Arabs were predominant on the land of Egypt. Salahudin himself and his family were Kurdish. He was Kurdish among the Turks and Ayubi at the time of the Zangi. The land of Egypt included Muslims and Copts, Sunnis and Shiites. It also included Muslims of different schools such as Shafi'i, Hanbali, Hanafi, Maliki and mystics. This society included a number of foreign communities such as Moroccans, Andalusians, Venetians and Genoese.

In the first stage of the research, the researcher aims to monitor the most prominent manifestations of pluralism concerning the elements of the society in the Ayyubid age through the sources.

In the second stage, the researcher attempts to study the way those differences were reflected on the writings as well as the historians' vision of the status in the Ayyubid age in the light of their ethnic or religious belongings, for example, Ibn Wasil who argued for the non-Arab leaders of the Islamic jihad; Ibn al-Athir's vision of the events in Salahudin's age along with his elegy of this leader in the end; Sawirus Ibn al-Muqaffa's description of the status of the Copts; and Ibn Jubair's monitoring of the status of the communities.

In the third stage, the researcher attempts to show the most significant reasons and justifications according to the forms and manifestations of coexistence which were stated in a number of sources in that period. Some have admitted an undeniable reality, that is, overcoming a real challenge and achieving victory; or the ability of the Ayyubid economic regime in the inclusion of others as well as the results which the research tries to achieve.

المقدمة: إذا كان التنوع العرقي والديني والاجتماعي بما يفرضه من اختلافات في الرؤى والمواقف من أبرز سمات المجتمع البشرى، فإن دراسة هذه التعددية تبدو أهميتها في بداية الدولة الأيوبية التي ولدت في خضم الحروب الصليبية في ظل أجواء كانت فيها الحرب حقيقة يومية، وقد نجح السلطان المؤسس صلاح الدين[١] من تحقيق أهدافه؛ فقد وصلت انتصاراته لذروتها بعد هزيمة زهرة الفرسان الصليبيين عند قرون حطين ٢٤ ربيع الثاني ٥٨٢هـ/ ٤ يوليو ١١٨٧م[٢]. وكان من الطبيعي أن يحدث خلال سقوط الدولة الفاطمية وقيام الدولة الأيوبية في مصر تغيير في التكوين العنصري بل والبناء الطبقي للمجتمع[٣]، كما كان لموقع بلاد الشام الجغرافي المتميز الذي تتوسط به العالم القديم مما أتاح لها التحكم في كثير من طرق التجارة في تلك العصور، فضلا عن أهميتها الدينية كمهبط للرسالات السماوية، والظروف التاريخية التي مرت بها كونها بؤرة صراع بين القوى العالمية؛ فإن هذه المنطقة حفلت خلال تلك الفترة بعناصر سكانية ومجموعات بشرسة متعددة وأجناس متباينة[٤].

وقد تناولت الأقلام عصر السلطان صلاح الدين الأيوبي وشخصيته[٥]، وعلى الرغم من أن البحث في طبيعة المادة التاريخية والمؤرخين الذين شكلت كتاباتهم هذه المادة هو أحد فروع الدراسات التاريخية، إلا أن من بين الدراسات السابقة التي تناولت الكتابة التاريخية حول صلاح الدين يمكن ذكر:

(١) نظير حسان سعداوي: المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الايوبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٢م؛ وهي دراسة مختصرة تناول فيها المؤلف نقد خمس كتابات للمؤرخين العرب، وثلاثة من المؤرخين اللاتين الذين أراخوا لصلاح الدين مسلطا الضوء على توجهاتهم.

(٢) السير هاملتون.آ.ر. جب. : صلاح الدين دراسات في التاريخ الإسلامي، حررها/ يوسف ايبش، بيسان، بيروت، ١٩٩٦؛ وهي مجموعة دراسات تناول الفصل الثاني منها: نقد تاريخ دمشق، والفصل الثالث: "المصادر العربية عن حياة صلاح الدين"، وعقد دراسة نقدية لأبرز المصادر العربية التي أخضعها للمقارنة ببعض المصادر اللاتينية كوليم الصوري، كما أخضع الروايات للمقابلة خاصة عند الحديث عن ابن الأثير، وحدد مجموعة من الرايات الكاشفة لتقدير كون ابن الأثير جديرا بالثقة والاعتماد.

(٣) جمال فوزي: التاريخ والمؤرخون في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية (٥٢١-٦٦٠هـ)، القاهرة، ٢٠٠١؛ وتمتاز هذه الدراسة برصد لملامح الحياة السياسية والحضارية في بلاد الشام بشكل عام، وأثرها على الحركة التأريخية والمؤرخين خلال حقبة الحروب الصليبية خلال العهدين الزنكي والأيوبي، وتقدم في نهايتها ملامح إجمالية للحركة التاريخية بعد عرض أبرز كتب التاريخ العام والتاريخ الإقليمي والسير والمذكرات. وقد أفادت البحث في بعض النقاط التي تعرض لها من ناحية التعددية سواء المذهبية أو القبلية على وجه الخصوص.

(٤) عواد المنور: صلاح الدين الأيوبي في الكتابة التاريخية العربية في القرنيين (٦-٧هـ/١٢-١٣م) ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية ، الجزائر ٢٠١٢م؛ وهي الدراسة النقدية التي جاءت في ثلاث فصول: تناول الفصل الأول : مؤرخو القرن السادس الهجري والإشارات الأولى لصلاح الدين الأيوبي، والفصل الثاني : المؤرخون المعاصرون والكتابة المختصة في التاريخ لصلاح الدين الأيوبي، والفصل الثالث: كتابات ما بعد المؤرخين المعاصرين، والحنين لعصر صبلاح الدين. وقد تتضمنت الرسالة ترجمة لكل مصدر من المصادر، في محاولة لتوضيح أثر الانتماءات على الكتابة التأريخية كما في حالة ابن الأثير، حيث أشار بالفعل لفقرات كاشفة توضح توجه ابن الأثير[٦]، في محاولة لتقييم تفسيرات ابن الاثير التي عمد فيها على قلب الحقيقة بغرض تشويه صورة صلاح الدين، بل واتبع منهج مقابلة الروايات في أكثر من موضع [٧]؛ ولكن اقتصرت هذه الرسالة على الكتابات العربية فقط، ولم تشمل على سبيل المثال الروايات اللاتينية المعاصرة لصلاح الدين التي يهتم هذا البحث برصد جزء منها.

أما **إشكالية الدراسة** حاول البحث رصد أبرز مظاهر التعددية في التركيبة السكانية بمصر والشام خلال عصر السلطان المؤسس صلاح الدين، فضلا عن الطوائف المذهبية والدينية، ودراسة انعكاس كل جانب من جوانب التعددية على الكتابة التاريخية في تلك الفترة. وحاول البحث الإجابة عن التساؤلات التالية: إلى أي مدى كان التعدد البشري في مجتمع بلاد الشام عصر السلطان المؤسس صلاح الدين؟ وهل انعكس هذا التعدد على الكتابات التاريخية؟ ما مظاهر انعكاس التعددية في اختلاف الرواية التاريخية لحدث ما؟ كيف انعكس التعدد المذهبي في الكتابات التاريخية؟ ما أسباب هذه التعددية؟ وما أبرز نتائجها؟

تمهيد: عندما جاءت جيوش الحملة الصليبية الأولى كانت التركيبة السكانية في بلاد الشام تضم عناصر عربية، وتركية، وكردية، وسريانية، فضلا عن الأرمن والبيزنطيين. وكانت عناصر الأتراك السلاجقة والتركمان قد زادت أهميتهم بفضل نشاطهم العسكري قبيل وأثناء الحروب الصليبية، أما الأكراد فقد سبق وجودهم في المنطقة قدوم الصليبيين بالفعل، لكن زادت أهميتهم بعد أن صاروا يمثلون أغلبية جيوش صلاح الدين(٨).

وقد كان نظام الإقطاع السلجوقي أساس بناء الجيوش الإقطاعية الثلاث التي أرسلها نور الدين محمود إلى مصر(٩)، وكان على رأسها الأمراء المقطعون، وبصحبة كل أمير أفصاله، وجميعهم تحت قيادة شيركوه الذي كان هو بمثابة فصل إقطاعي لنور الدين محمود. وما كادت الأمور تستقر لشيركوه في مصر حتى أقطع البلاد لعساكره، ثم استأنف صلاح الدين توزيع الإقطاعات على الأمراء عندما آلت إليه الأمور، وكانت هذه الجيوش تتألف من عناصر الأتراك والأكراد والتركمان(١٠).

وهكذا شارك الأكراد مثل معظم الشعوب المتواجدة في مصر والشام والمناطق القريبة في مقاومة الصليبيين، وازداد منذ ذلك الوقت تواجدهم كأفراد أو جماعات في مدن الشام ومصر(١١)، وبلغت قمة تواجدهم في تلك البلاد بعد تأسيس الدولة الأيوبية(١٢) . وتقدم المصادر التاريخية للفترة الأيوبية مادة ثرية في دراسة العنصر الكردي(١٣)، فأورد الأصفهاني أسماءَ بعض القبائل الكردية في هذه المرحلة، مثل: الحميدية والهكارية والزرزارية والمهرانية، والتي شكلت عماد الجيوش الأيوبية، إضافة إلى التركمان والعرب. فذكر: "وكل هكاري على القرن عكار، وفي الوغى كرار، وللقنا جرار. وكل زرزاري بالأسد زار، وللبسالة كاس ومن العار عار، وكل مهراني في القتال ماهر، وللرجال قاهر، وعلى الأبطال ظاهر. وكل كمي كميش، واكديش على اكديش"(١٤). كما سجل بن منقذ (١٠٩٥-١١٨٨م) في كتابه "الاعتبار" شيئًا من شجاعة الكرد(١٥). وتأثرا بالوجود الكردي في عصر الأيوبيين فقد ظهر في مصادر ذلك العصر بعض الألفاظ الكردية التي كان أول استعمالها في مصر والشام أيام صلاح الدين(١٦).ومع أن بدايات دخول الكرد إلى بلاد الشام مقروناً بالحروب والمعارك باعتبارهم محاربين أشداء، إلا أنه من الإجحاف بحقهم حصر تاريخهم في بلاد الشام بالحروب فقط، فما زالت هناك بعض المنشآت في بلاد الشام العائدة إلى العهود الأيوبية والمملوكية تحمل أسماء كردية أو لها صلة بهم مثل بعض ما تحويه مدينة دمشق(١٧).

وفي هذا السياق لابد من الإشارة للمؤرخ البارز ابن الأثير والذي كانت نظرته للعناصر الكردية مقارنة بالعناصر التركية سببا في رؤيته الخاصة فاكتسب قيمته من خلال معارضته للسلطان الأيوبي، وترصده لأخطائه في عصر انبهر فيه الكثيرون بهذا القائد(١٨) من المسلمين وحتى الصليبيين(١٩)، هذا فضلا عما كان لارتباطه السياسي بالزنكيين من دور فعال في الموقف الذي تبناه(٢٠). على أية حال فقد راجع ابن الأثير نفسه عند وفاة صلاح الدين(٢١)، وكتب "عبارات لا تصدر إلا من مؤرخ يعرف ويقدر قيمة الرجال"(٢٢). كما اشار ابن الأثير لانجازات صلاح الدين في مجال التعليم وتحصين المدن ، وإن كان في عمومها ضئيلة في مقابل حديثة عن نشاطه العسكري(٢٣).

فأبرز الهجمات التي حملها مصدر ابن الأثير على صلاح الدين: موقفه من نور الدين محمود وابنه(٢٤)

فقد انحاز ابن الأثير بشكل لافت في بعض المواضع لسادته وأصحاب الفضل عليه من آل زنكي، ورفض أساليب صلاح الدين في التعامل معهم، فيمل لم يخف إعجابه بالسلطان وتقديره لجهوده الجهادية في مواضع أخرى، غير أنه في أكثر الأحوال لا يبدى عن طريق انتقاء الروايات تحامله على صلاح الدين، وهذا لفرط ذكاء ابن الأثير في الانتقاء والاستدلال بالروايات التي تخدم نظرته وتوجهه؛ بل لقد اتهم ابن الأثير صلاح الدين بإقامة دولته على القهر والقتل لذا حرمه الله ملك أعقابه من بعده ، ونقل الملك إلى أعقاب أخيه العادل، ولم يبق بيد أعقابه غير حلب(٢٥)

ومن الجدير بالذكر هنا التقاء الكتابة التاريخية لدى ابن الأثير بولائه الزنكي الموصلي المناهض لصلاح الدين والمؤرخ الشيعي ابن أبي طيء(٢٦) ووليم الصوري، فشارك وليم الصوري ابن الأثير نظرته لصلاح الدين بأنه "كان رجلا من عامة الناس وسوادهم، ولكن الحظ ابتسم له فبوأه ذروة العلياء..."(٢٧)، كما أن وليم الصوري في عام ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م وأثناء سرد الكيفية التي سيطر بها صلاح الدين على دمشق، صور صلاح الدين بالجحود لسيده السابق نور الدين(٢٨).

وعلى الجبهة الأخرى تبنى ابن شداد موقف صلاح الدين من الزنكيين؛ فالخطر الصليبي موجه لبلاد الشام وابن نور الدين طفل عاجز عن مواجهة هذا الخطر، ومن جانب

آخر أبرز ابن شداد حرص صلاح الدين على عدم قتال الزنكيين وميله إلى مسالمتهم كما هو الحال قبيل معركة قرون حماة ٥٧٠هـ/ ١١٧٥م[٢٩]، كما
عزا زحفه على الموصـــل في عام ٥٧٨هـــــ /١١٨١م إلى تحالف حكامها الزنكيين مع الصليبيين[٣٠].

وبنقد مصـدر ابن شـداد في ضـوء أنه ألف كتابه بعد وفاة صـلاح الدين، وفي ذات الوقت لم يكتبه ليقدمه لأحد من أقاربه، ومن ثم يمكن استبعاد فكرة تجنيه على خصوم صلاح الدين من الزنكيين، بل إن وجود ابن شداد في الموصل أثناء حصـار صـلاح الدين لها جعله في موقع استطاع من خلاله استجلاء الحقيقة[٣١].

فقد تناول المؤرخون طبقا لاتجاهاتهم علاقة نور الدين بصـــلاح الدين، في حين عمد البعض الآخر إلى تفنيد الاتهامات الموجهة لصـلاح الدين بخصـوص خروجه عن طاعة نور الدين أو ما يشـير لتوتر العلاقة بينهما، وفي هذا الأطار يمكننا تتبع الحقائق التي يشـي بها الواقع التاريخي من أن الإجراءات التي اتخذها صـلاح الدين لإنهاء الخلافة الفاطمية ،جاءت بأمر من نور الدين، ولم تتم إلا بعد أن وصـل نجم الدين أيوب والد صـلاح الدين من طرف نور الدين إلى مصر. كما أدركت الخلافة العباسية، علاقة التبعية فميزت بوضوح بين الخِلعّ الخليفية لنور الدين وبين الخِلَع الخليفية لصلاح الدين وجَعلت خِلع صلاح الدين أقل من خلع نور الدين، وفي نفس الوقت أرسل نور الدين من قبله خَلَعّ سيّرها من بلاد الشام إلى صـلاح الدين وأمرائه بمصر ' تأكيداً لتبعيتهم المباشرة له.

وإذا ذهبنا مع الآارء التي ترى في بعض تطورات الأحداث بين نور الدين وصـــلاح الدين ما يشير إلى وجود توتر دون أن يصل إلى مرحلة العداء السافر فيمكن تفسيرة في ضوء اختلاف الرؤية السياسية لكلا منهما. فإذا كان نور الدين يرى أن بلاد الشام هي بؤرة الصراع وأن دور مصـر للتمويل، وأنها مصـدر للطاقة البشـرية، فإن صـلاح الدين أدرك أن مصـر مفتاح المنطقة العربية.

لذلك في هذه المرحلة التي ارسل نور الدين لصـلاح الدين للقدوم إلى الكرك والشوبك ولم يحدث أن لحق به صلاح الدين لم يكن لوحشة بينهم، ولكن لأن صلاح الدين أكثر معرفة لما يجري في مصـر من أخطار ناجمة على استعداد بعض أنصـار الفاطميين للانضـمام إلى الفرنج فوجه اهتمامه إلى بناء جيش قوي، بحيث يستطيع السيطرة على مصر، ورأى أن تثبيت

كيان الدولة الجديدة في مصـر أولى من الانشـغال بمسـائل الشـام.بل ويذهب أبوشـامة ان صـــلاح الدين قد خرج بالفعل من القاهرة في اتجاه الكرك ولكن أمرا ما جعله يعود. على أية حال أبدى صـلاح الدين تبعيته لبيت نور الدين حتى بعد وفاته سـنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م، بحيث خطب صلاح الدين لابنه الصالح إسماعيل، وضرب السكة باسمه[٣٢]، ووافى إرسال الرسائل في العزاء بنور الدين، وعلى هذا يمكن القول أنَّ حتى وفاة نور الدين، كانت مصـر والشام قد توحدتا تحت زعامة نور الدين.

وكان صـــلاح الدين قد أرســـل إلى نور الدين قبيل وفاته ربما بأيام معدودات – في أوائل شوال ٥٦٩هـ – ببشارة فتح اليمن، ففرح بذلك وأرسل البشائر إلى الخِلافة وسائر بلدانه.

كما رصـدت إحدى الدراسـات الجادة في نتائجها من خلال مقارنة روايات ابن الأثير بتلخيصـات أبي شـامة من كتاب البرق، من أن ابن الأثير يقوم أحيانا بتبديل عبارات مصـدره أو بتحريف معناها مدفوعا بالعداء لصلاح الدين[٣٣]

نذكر منها رواية ابن الأثير عن حصـار صـلاح الدين للموصـل عام ١١٨٥م حيث روى أن عز الدين بعث بنساء الأسرة الزنكية للتدخل مع صـلاح الدين مع اقترابه من المدينة في حزيران١١٨٥، لكنه رفض شـفاعتهن [٣٤] ، أما رواية العماد كما وردت لدى أبو شـامة ، فيضـع هذه الحادثة بشـكل محدد عند أواخر النزاع مع الموص، أي عندما عاد صـلاح الدين إلى الموصـل، وعقب قطع الحصـار عنها مؤقتا[٣٥]. لقد كان هذان المؤرخان في الموصـل عندما وقعت هذه الأحداث، وتنازع الأدلة يبدو منطقيا. فلا سـبيل إلى الجدال بأن رواية عماد الدين هي الرواية الأكثر تماشيا مع الظروف، بينما قام ابن الأثير بتحريفها لكي يظهر صلاح الدين في أسـوأ ضـوء ممكن. فضـلا عن ذلك يؤكد عماد الدين بأن صـلاح الدين ، اسـتجابة منه لندائهن ورغم كونه عاجزا عن منح كل الأشـياء التي طالبن بها، وافق على قبول وسـاطة عماد الدين زنكي في ســـنجار، وتمت عن طريق هذه الوســـاطة في الواقع تســـوية النزاع نهائيا[٣٦].

أما الأرمن والذين كثر عدد المهاجرين منهم إلى مصر في وزارة بدر الجمالي، وسكنوا بها، وازداد عددهم ونفوذهم[٣٧]، فقد تقلص نفوذهم هذا في عهد صلاح الدين [٣٨]، وهو الأمر الذي يتضح بجلاء من المطالعة الأولى لرواية أبي صالح الأرمني لأوضاعهم في مصر عقب تولي صلاح الدين الحكم[٣٩]. وهنا يمكن الإشارة لدور الأرمن في تأسيس إمارتى الرها وأنطاكية الصليبيتين والذي يذكرنا بالمبرر التاريخي لتأسيس صلاح الدين للدولة الأيوبية[٤٠].

وكان المغاربة شأنهم شأن الأرمن من ناحية تقلص نفوذهم الذي تمتعوا به كقوة مؤثرة في الساحة السياسية في ظل عصر الدولة الفاطمية، إلا أن هجرات المغاربة الوافدين إلى مصر كطلاب علم أو فقهاء أوحجاج رفد المجتمع بمدد مستمر طوال العصر الأيوبي وخاصة عصر صلاح الدين[٤١]. فبين جنبات المجتمع الأيوبي وجد الغرباء والأجانب، بل واتسع الاعتناء بهم، حتى أمر صلاح الدين بتعيين حمامات يستحمون فيها، ونصب لهم مارستانا لعلاجهم من الأمراض، ووكل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم، وتحت أيديهم خدام يأمرونهم بالنظر في مصالحهم من علاج وغذاء. كذلك عين لأبناء السبيل من المغاربة خبزتين لكل إنسان في كل يوم، فقد ينتهي اليوم إلى ألفي خبزة أو يزيد. فقام صلاح الدين بنشر الأمن وتأمين السبل، حتى إن الناس في بلاده لا يخافون من الليل رهبة ولا من سواده هيبة[٤٢].

وكان لهذا الوضع أثره في مصادر الأندلسيين والمغاربة التي وصلت إلينا من هذا العصر، فعلى سبيل المثال فإن رحلة ابن جبير كمصدر تاريخي يبدو للبعض كتاب دعاية لدولة الموحدين؛ حيث تمنى ابن جبير فيه أكثر من مرة أن يمتد نفوذ تلك الدولة شرقا إلى مصر والحجاز[٤٣]، إلا أنه لم يفت ابن جبير مناسبة بغير أن يشيد بذكر صلاح الدين وأعماله وحسن سيرته في بلاد الشرق الأدنى[٤٤]. وقد شارك الوهراني ابن جبير الإشادة بصلاح الدين؛ ولكن على طريقته الخاصة بصورة مباشرة أو من خلال تصويره بصور تقربه من نفوس جميع المسلمين في إحدى مناماته[٤٥].

ولعل المقريزي في مقدمة "البيان والإعراب" كان قد أشار إلى شيء مهم بالنسبة للعنصر العربي فذكر: "إن العرب الذين شهدوا فتح مصر قد أبادهم الدهر، وجُهِلت أحوال أكثر أعقابهم، وقد بقيت من العرب بقايا بأرض مصر"[٤٦]، على أي حال فهناك محاولات

لتتبع أخبار العرب الأولين في مواطنهم التي اســـتقروا فيها، وتعقب ذرياتهم على مر الأجيال والقرون حتى عصر الأيوبيين(٤٧).

وفي عصر الأيوبيين لعب العرب دوراً في الزود عن الشام ضد هجمات الصليبيين، وكانت في جيش صلاح الدين عشائر من العرب، تحالفت لقتال الإفرنج، فعلى سبيل المثال كان لقبائل طيء دور في محاربة الصليبيين، فأراد صلاح الدين أن يكافئهم، فنقل منهم جرماً وثعلبة، إلى الحوف الشرقي، وأسكنهم مساحات واسعة في أرض جذام في الجانب الشمالي الشرقي من الحوف، وانحسر الجذاميون عن هذا الجانب، ومن المحتمل أنهم اتجهوا إلى صحارى مصر(٤٨). وفي أواخر هذه المرحلة، هاجر إلى بلبيس وما حولها جماعات من العائذ، وقيل إنها من جذام(٤٩)، وكان أحد أكابرهم مالك الوقعي مقدما لدى صلاح الدين وأخيه العادل(٥٠).

وإذا كان قد حدث في عهد الأيوبيين شـــيء من المناوأة لجماعات عربية معينة، كالجذاميين وبني كنز الدولة، فإن ذلك كان يفهم في الســـياق التاريخي للأحداث(٥١) ليس في السياق العنصري، عرفنا بعضـها فيما يتعلق بعلاقة بني كنز الدولة بالدولة الفاطمية (٥٢)، أو بدور بعض قبائل العربان بإمداد الصليبيين بالغلال مما دفع صلاح الدين إلى مصادرة بعض إقطاعاتهم(٥٣).

وقد انعكس تعدد أجناس وقبائل الشـــام فقد برز أثر ذلك في مجال التأليف ، فأرخ بعض المؤرخين لأقوامهم التي انتســـبوا إليها كما فعل الأثاربي في أخبار تميم وأيامهم، وابن منقذ في تاريخ ال منقذ ، وابن العديم في الأخبار المستفادة في ذكر بني أبي جرادة(٥٤).

أما غالبية المصـــريين فقد التصـــقوا بالأرض الزراعية في الريف، مع وجود بعض الحالات الفردية التي وصل فيها المصريون لمناصب إدارية عليا(٥٥).

وقد شهد ابن واصل(٥٦) لقادة الجهاد الإسلامي من غير العرب، فلم يمنعه التعصب العنصري وهو الفقيه والمؤرخ العربي من الإشادة بصلاح الدين ونور الدين محمود والظاهر بيبرس(٥٧)، بل واختار ابن واصل أبيات بعض المقطوعات الشعرية في مدح صلاح الدين، والإشـــادة بذكره تختلف عن غيره من المؤرخين؛ بمعنى أنه قد اختار أبياتا أغفل أبو شـــامة ذكرها، وخير مثال قصيدة ابن سناء الملك التي تغنى فيها قائلا أن: "بدولة الترك عزت ملة العرب"(٥٨).

وإذا كان السودانيون قد شكلوا قوة لا يستهان بها في خلال العصر الفاطمي [٥٩]، فإن حالهم قد تبدل بعد اشتراكهم في المؤامرات ضد صلاح الدين[٦٠].

أما بالنسبة للطوائف المذهبية في عصر صلاح الدين، فلابد من التأكيد على أنه من قبيل المبالغة القول بسرعة القضاء على المذهب الشيعي وإعادة المذهب السني إلى مصر في بداية الدولة الأيوبية؛ فالمذهب السني لم يخرج من مصر حتى يعيده إليها صلاح الدين أو غيره، فقد ظل المصريون على تمسكهم بالمذهب السني[٦١]. وهذا الاتجاه تؤكده رواية أبي شامة[٦٢]من رغبة المصريين في العودة إلى المذهب السني في ضوء رسالة صلاح الدين إلى الخليفة العباسي[٦٣]، بل لقد وصف البعض قطع الخطبة للخليفة العاضد بأنها " لم ينتطح فيها عنزان"[٦٤].

وهذا عكس ما حاول ابن أبي طيء الحلبي "المؤرخ الشيعي" من تصوير أوحى فيه أن أكثر أهل مصر كانوا من أنصار الدعوة الإسماعيلية؛ حيث هاجر عدد كبير منهم عن مصر[٦٥]، وربما اتفق مع ما رواه الوهراني مجازا من امتناع المصريين عن صلاة الجمعة تشيعًا للأئمة الفاطميين، فكانت الصلاة أربع ركعات[٦٦]، وقد يكون دافع الوهراني مختلف عن ابن أبي طيء فهو من المحتمل أراد تضخيم مهمة صلاح الدين.

أما على الجانب الآخر فإنه مما تردد في بعض المصادر هو "اختفاء مذهب الشيعة إلى أن نُسِي في مصر"[٦٧] بعد تولي صلاح الدين أمورها[٦٨]، إلا أن هذه الروايات ليست برهانا دامغا على اختفاء المذهب الشيعي من مصر ؛ لأن فقدان الشيعة لمنصب الخلافة لم يقض على كل معتنقيه بل ظل بعضهم يؤمن به طوال العصر الأيوبي، بل وفي ظل العصر المملوكي وبخاصة في صعيد مصر[٦٩]، فجاء في القرن الثامن الهجري من وصف بيئة الصعيد بشيء من الإسهاب وهو كمال الدين الأدفوي، وعلى الرغم من أنه بدا متعصبا لهذا الإقليم إلا أن وصفه لم يخلُ من بعض الحقائق[٧٠]، وأبرزها هو أن التشيع كان منتشرا في تلك البيئة[٧١]. فقد كان الصعيد منفى وملجأ للخارجين عن سلطان الدولة من أنصار الفاطميين أو معتنقي المذهب الشيعي. والخلاصة أن صلاح الدين حاول القضاء على النفوذ الشيعي سياسيا، ربما خشية من تعاونهم مع الصليبيين في تلك المرحلة[٧٢].

ومن الجدير بالذكر هنا أن ابن أبي طيء[٧٣] أرخ للسلطانين نور الدين وصلاح الدين تاريخا، يعتبر همزة الوصل بين نهاية حكم الأول وبداية عصر الثاني، وعلى الرغم من اتفاق

المذهب – وهو السني – عند كل السلطانين ، فإن ابن أبي طيء يصور نور الدين فيصورة الحاكم المستبد المتعصب لمذهبه المتحيز لأهله ، المضطهد لمخالفيه. لذا انتقد والده سياسة نور الدين ، فنفاه وحبس أفكاره. وتوقع الباحث أن ينهج ابن أبي طيء نهج أبيه فيعارض صلاح الدين، غير أن سياسة التسامح التي جرى عليها صلاح الدين جذبت إليه معارضي نور الدين، وبات واضحا من النصوص التي أوردها أبو شامة وغيره عن ابن أبي طيء، أنه أيد وآزر صلاح الدين في أقواله وأفعال، بل لقد علل رفع صلاح الدين الحصار عام ١١٧٦م عن مدينة مصياف عاصمة الطائفة الإسماعيلية ، بأسباب سياسية وعسكرية تتعلق بموقف الصليبيين من تحركات صلاح الدين(٧٤).

ومن بين المذاهب الفقهية الأربعة تبوأ المذهب الشافعي مكان الصدارة خاصة في عصر الأيوبيين، على الرغم من أن نور الدين محمود الذي بدأ النشاط الجدي بالاهتمام بالسنة كان معتنقًا للمذهب الحنفي، فبعد إنهاء صلاح الدين للدولة الفاطمية سياسيًا عزل قضاة الشيعة، وعين الشيخ صدر الدين عبدالله بن درباس الشافعي في منصب قاضي القضاة، وفي ذلك قال المقريزي "فتظاهر الناس من تلك السنة بمذهب مالك والشافعي رضي الله عنهما"(٧٥).

ولكن سيطرة الشافعية والحنفية على الحياة العلمية لم تمنع تطور مذهبي المالكية والحنابلة(٧٦)؛ فهناك فرق بين وجودهم وتعضيدهم من قبل الحكام أو العلماء، ولكن كانت المدارس في العصر الأيوبي موزعة على المذاهب الأربعة(٧٧). وقد اشتهرت المدرسة التي أمر بإنشأها صلاح الدين للشافعية(٧٨) باسم المدرسة الناصرية، ثم اشتهرت بمدرسة ابن زين التجار، ثم صارت تعرف بالمدرسة الشريفية، وأنشأ المدرسة القمحية للفقهاء المالكية، وأيضا مدرسة للحنفية في السيوفية ... ومن المظاهر المهمة قلة مدارس الحنابلة، وكثرة المدارس التي جرى بها تدريس المذاهب الأربعة على العكس من دمشق، وأول مدرسة بمصر للمذاهب الأربعة هي الصالحية(٧٩). وقدم السيوطي تفسيره عن قلة الحنابلة بمصر قائلا: " ولم أسمع بخبرهم (أئمة الفقهاء الحنابلة) فيها إلا في القرن السابع وما بعده؛ وذلك أن الإمام أحمد رضي الله عنه كان في القرن الثالث، ولم يبرز مذهبه خارج العراق إلا في القرن الرابع، وفي هذا القرن ملكت العبيديون مصر"(٨٠).

وعلى أية حال فالقول الفصل في سياسة صلاح الدين تجاه المذاهب الأربعة تظهر واضحة وجلية في نص رسالة بعث بها صلاح الدين إلى الملك العادل في سنة ١١٩٠م/ ٥٨٦هـ بقلم القاضي الفاضل رفض فيها قولا واحدا التعصب المذهبي، بل ودعا لما يمكن تسميته اليوم بالحرية المسئولة، في دعوة صريحة منه قائلاً فيها: "وليعلم العبد أنه يكتب كتابا إلى ربه فليفكر فيما كتب وإلى من كتب"، وذلك في ضوء إدراكه لآثار التعصب البغيضة كما ورد في الرسالة[٨١]، مع الوضع في الاعتبار أن محاولته لعلاج الخلافات المذهبية بالنظر في تاريخ الخطاب تأتي في خضم أحداث المواجهات الأيوبية الصليبية، فيما عرف بالحملة الصليبية الثالثة أي في لحظات تاريخية حساسة وعسكرية حاسمة وعصيبة لا تقبل انقسام داخل المجتمع.

وفي سياسة صلاح الدين المذهبية يتضح وصول أفكار وروح نظام الملك إلى مصر بوجود صلاح الدين بها[٨٢]، فقد كان وريثا حقيقيا يتقبل بسماحة الاتجاهات المختلفة في الإسلام، فمع كونه شافعيا فقد أظهر ميلا كبيرا تجاه المذهب المالكي والمذهب الحنفي[٨٣].

وهذا التنوع كان له أيضا انعكاساته المصدرية؛ فقد كتب أحد علماء الحنفية، وهو ابن أبي اليعيش كتابًا أسماه "النوري في شرح القدوري" تعرض فيه لبعض رجال الحديث الشافعية، فاستدعاه صلاح الدين يوم الجمعة في مسجد دمشق وأمر بغسله[٨٤]. وفي حين يستخدم البعض مثل هذه الروايات كدليل على التعصب الأيوبي للمذهب الشافعي لكنها قد تحمل في طياتها دليلا على التنوع المذهبي، فالاختلاف وارد ولكن دون تجريح، أي بوضع ضوابط لعدم التجاوز والذي قد يكفل التعددية.

ويلاحظ على مؤرخي هذا العصر غالبا عدم التحامل على أصحاب المذاهب الفقهية المخالفة عند الترجمة لهم . فكثير من هؤلاء المؤرخين عرف بمذهب فقهي انتسب إليه، فبعضهم شافعي كابن عساكر والعماد وابن الأثير وابن شداد وابن أبي الدم. وبعضهم حنفي كابن العديم، أو حنبلي ثم حنفي كسبط ابن الجوزي – إن صحت الرواية في ذلك – ومع ذلك فقد ترجم كل منهم لأصحاب المذاهب الأخرى دون تحامل ظاهر[٨٥]. قال، مثلا، ابن الأثير في وفيات عام ٤٩١هـ:" وفيها توفى أبو الفضل عبد الوهاب بن أبي محمد التميمي الحنبلي ، وكان فاضلا فصيحا"[٨٦] وفي وفيات عام ٥١٢ هـ قال: " وفي هذه السنة، في شعبان، توفى

أبو الفضل بكر بن محمد بن علي بن الفضل الأنصاري من ولد جابر عبد الله ، وهو من بلد بخارى، وكان من أعيان الفقهاء الحنفية ، حافظا للمذهب"[٨٧]

والمعروف أن التصوف كان عظيم الأهمية زمن الأيوبيين والمماليك من ورائهم، وقد بلغ التصوف غايته زمن صلاح الدين وخلفائه، والدليل على ذلك وفرة الخوانق والربط والزوايا التي يرجع تاريخها إلى ذلك العصر، وأول خانقاه معروفة زمن صلاح الدين هي الخانقاه الصلاحية[٨٨].

وعند محاولة النظر في أوضاع الأقباط في عصر صلاح الدين، تتجلى قيمة مُؤرَخ ساويرس بن المقفع[٨٩]، في أنه يعكس وجهة نظر المسيحيين والرهبان المصريين نحو الحكومات الإسلامية ونحو إخوانهم من المصريين المسلمين، وأوضاع الأقباط من الناحية الاجتماعية[٩٠].

يتفق ما جاء لدى ساويرس مع ما ورد في مصادر ذلك العصر من فرض صلاح الدين في بداية عهده بعض القيود على أهل الذمة[٩١]، ويفسر البعض ذلك في ضوء ما أشيع في مصادر تلك الفترة من دور أهل الذمة وخاصة اليهود في ثورات الفاطميين، وما كان من القبض على أحد اليهود عام ٥٦٤هـ الذي تورط في ثورة مؤتمن الخلافة[٩٢]. وقد يكون هذا القرار جزءًا من سياسة صلاح الدين لمواجهة الصليبيين فمن المحتمل أن يكون قد خشى من انضمامهم للفرنجة، وهذا خلاف ما تؤكده رواية ابن المقفع حول طبيعة العلاقة بين الأقباط والصليبيين[٩٣]، فإن الأقباط لم ينجوا من يد الإفرنج[٩٤]، ويكفي منع الصليبيين للأقباط من الحج إلى القدس وإلى كنيسة الضريح المقدس[٩٥]، وبناء على ذلك نظر البعض لموقف الأقباط عصر الحروب الصليبية بأنه فترة محنة حقيقية[٩٦].

ولكن بعدما استتب الأمر لصلاح الدين بالقضاء على أنصار الدولة الفاطمية، وتعبيرا عن وحدة الصف المصري، ارتكز صلاح الدين في حكم مصر على المسلمين والأقباط، باعتبارهم أبناء بلد واحد، وباعتبارهم مواطنين مصريين[٩٧]. أشار بعض الباحثين إلى أن سبب تغير سياسة صلاح الدين مرده إلى خبرتهم في إدارة شئون البلاد، خاصة الدواوين المالية[٩٨]، وأرجع البعض الآخر سياسة تسامح صلاح الدين مع غير المسلمين إلى أنها جزء من سياسته الحكيمة لإصلاح الاقتصاد وسبب له[٩٩]، ويمكن أن نضيف هنا أن إصلاح

الاقتصاد قد جاء نتيجة لها. فروى ساويرس إبطال المكوس، " فلما رأى السلطان صلاح الدين ما هو حال الأهالي من هذه المظالم أمر بإلغائها ومسامحة الناس فيما كان باقيا عليهم منها وكان قد بلغ قدرا عظيما فشكروه على ذلك ومالوا إليه بكل قلوبهم"(١٠٠).

وقد كانت الجزية أو "الجعلية" مثلما عرفت في الدولة الأيوبية ضمن الضرائب التي تغذي موارد الدولة(١٠١)، ولدينا وصف شامل لابن مماتي لمقدار الجوالي والذي يتضح فيه بجلاء التيسير على مؤديها منهم، حيث كانت تجبى على ثلاث شرائح تبعا للمستوى الاقتصادي ... بل إن الجزية "كانت واجبة فقط على الأحرار البالغين دون النساء، والصبيان، والرهبان، والعبيد، والمجانين"(١٠٢). وهنا مراعاة واضحة للمهمشين في المجتمع من المرضى النفسيين والمسنين داخل المجتمع الأيوبي، كما سيأتي شرحه في خضم تناول كفالة الدولة للمسنين من الأطباء اليهود.

ومن الواضح عمل أهل الذمة في دواوين الحكومة في العصر الأيوبي، فذكر الرحالة الأندلسي ابن سعيد الذي زار مصر عام ٦٤٠هـ: "أن أكثر ما يتعيش به اليهود والنصارى في كتابة الخراج والطب"(١٠٣). فمع أن وظائف الإدارة العليا كالنظارة كانت أبوابها موصدة أمام الأقباط إلا من اعتنق منهم الإسلام، والذين كانوا يشكلون بخلفياتهم الثقافية القبطية إثراء لهذا المنصب(١٠٤)، فإن الأقباط كان عددهم كبيرا في دواوين الحكومة وفروع الإدارة المالية في الأقاليم(١٠٥).

وعندما زار الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي عام١١٧٠م بلاد الشام وفلسطين سجل أن عدد اليهود في مدن فلسطين كان ضئيلا جدا في ظل الوجود الصليبي فهو لم يتعدى الألفين في ٣٥ تجمعا، مع المقارنة بأعداد اليهود في التجمعات السكنية التي زارها في الإمبراطورية البيزنطية والذي بلغ ٧٨٥٠ في ٣١ تجمعا(١٠٦). وظل شتات اليهود وتحريم سكناهم فلسطين والقدس خاصة حتى فتحها صلاح الدين في ٢٧ رجب ٥٨٣ هـ/ ٢ أكتوبر ١١٨٧م، وسمح لهم بالعودة(١٠٧)، وهو الأمر الذي تغنى به بعض من شعراء اليهود(١٠٨).

وعلى أرض الواقع فإذا كان بنيامين التطيلي قد وجد في القدس ٢٠٠ يهودي فقط(١٠٩)، فإنه بعد أن استعادها صلاح الدين وجد آخر فيها زهاء ٥٠٠ يهودي(١١٠). ولقد استمرت هجرة العلماء اليهود الغربيين إلى فلسطين طوال عهد صلاح الدين وأسرته من بعده، واستتبع هذه العودة أن سمح لهم السلطان صلاح الدين بحرية العمل كما سمح لهم بحرية

العبادة، فساهم اليهود بنصيب وافر في التجارة، وساوى بينهم وبين التجار الأجانب في المكوس، وكان اليهود يدفعون الجزية السنوية (١١١).

وقد أمدنا الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي بتقرير عن أعداد يهود مصر التى زارها فى القرن الثاني عشر؛ فذكر أنهم موجودون فى خمسة عشر مكانا فى مختلف أنحاء مصر، ولفت الانتباه أن النسبة الغالبة من تلك التجمعات كانت تسكن المدن والموانئ الرئيسية، وعاشت أعداد قليلة جدا منهم فى الريف. وكذلك أوضحت أوراق الجنيزا أن اليهود عاشوا فى مصر فى ثمانية عشر مكانا آخر بالإضافة إلى الأماكن التى ذكرها بنيامين التطيلي، وكشفت عن أن قسما كبيرا من يهود مصر فى ذلك الحين لم يكونوا من اليهود المصريين الأصليين وإنما كانوا من المهاجرين أو سلالتهم(١١٢)، فقد شكلت الحكومات الإسلامية – بدون مبالغة – الملاذ الآمن لليهود فترة العصور الوسطى(١١٣)، وينبغى علينا أن نضع فى اعتبارنا أن اليهود المصريين كانوا على الدوام من عناصر البنية السكانية المصرية منذ عصور موغلة فى القدم. ولم يكن اليهود جالية أجنبية ذات خصائص اجتماعية ثقافية متمايزة، وإنما كانوا جزءًا عضويًا من الكل المصري، وفيما عدا الدين فإنهم اشتركوا مع بقية المصريين فى كل شيء آخر: في اللغة والعادات والتقاليد والسمات الثقافية والاجتماعية التى اتسم بها المجتمع المصري عامة فى كل حقبه من تاريخه الطويل. وقد كان اليهود، من ناحية أخرى، أقلية ضئيلة العدد على الدوام بالنسبة للمصريين الآخرين لأسباب دينية وتاريخية وأخرى موضوعية(١١٤).

ونتيجة للعمل في تجارة الشرق في ظل التسامح كون كثير من تجار اليهود ثروات طائلة، وقرب صلاح الدين أطباء يهود ذكرهم ابن أبي أصيبعة في كتابه "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" منهم "أبو البيان بن المدور الملقب بالسديد"(١١٥) و"الموفق بن شوعة"(١١٦). ويمكن القول بأن عصر الأيوبيين بصفة عامة كان عصرًا مريحًا بالنسبة لأهل الذمة(١١٧)، مع وجود بعض الحوادث ذات الدلالة(١١٨).

وعلى أرض مصر كان لقاء الشرق بالغرب في لقاء الطبيب بن ميمون الأندلسي المولد بالطبيب عبد اللطيف البغدادي(١١٩) اللذين قدمت لهما الدولة الأيوبية دعمها(١٢٠). ولم يكن ابن ميمون ممثل الغرب الوحيد على أراضي الدولة الأيوبية، فكان يحيط بالمجتمع الأيوبي الكثير من الأجانب فقد بلغ عدد التجار الأمالفيين الذين أقاموا في القاهرة حوالي مائتي تاجر، وذلك في سنة ٥٦٩ هـ/ ١١٧٣ م، وكان للتجار الأمالفيين فروع في القاهرة

والإســـكندرية، وفي نفس الوقت كان في مقدور كل تاجر أمالفي أن يرتاد جميع الأنحاء دون أي عائق يذكر، وكانوا يجدون في مصـــر كل ترحيب، لأنهم يجلبون إليها من الغرب أشـــياء يحتاجها المصريون.

وكان في مصر عام ٥٠٦ هـ/ ١٢٠٨ م ما لا يقل عن ثلاثة آلاف تاجر أوروبي من بينهم عدد كبير من البنادقة؛ وتمتع البيازنة بالعديد من الامتيازات بمقتضى معاهدة بين السفير البيزي وصلاح الدين عام١١٧٣م ومن أبرز الامتيازات التي تمتع بها البنادقة أيضا: الإعفاء من بعض الرسوم، وتخفيض رسوم أخرى، والتوصية بحسن معاملة التجار البنادقة في الميناء والمحافظة عليهم وتجنب الإساءة لهم، وعقد معاهدات من وقت لآخر معهم تتضمن السماح لهم ببناء الفنادق والحصول على موافقة السلطات المصرية في بناء كنيسة وحمام ومخبز، وأن يكون لهم حي كامل يعيشون فيه وفقا لقوانينهم وعاداتهم وتقاليدهم، كما كان عليهم مراعاة تقاليد وعادات المسلمين في كل شيء، فلا يشربون الخمر في الشوارع أو في نهار شهر رمضان، ولا يقومون بأعمال تمس الشعور الديني عند المسلمين، ووافقت السلطات الأيوبية على إقامة القناصل للبنادقة في مصر للإشراف على العلاقات بين البلدين، والعمل على حل مشاكل جاليتهم والقضاء بينهم، والتدخل لدى السلطان إذا اقتضى الأمر ذلك، وعرض الشكوى عليه، وتوفير الأمن، وإقامة مقبرة لدفن موتاهم، وإقامة فندقين لهم بالإسكندرية، ولهم الحق في أن يتخذوا لهم بالديوان كاتبا يتولى الإرشاد عن السلع التجارية، ولهم الحرية في أن يبيعوا لكل من يرغب بالشراء. والدليل على العلاقات الطيبة أن ديوان الإنشاء كان يخص الدوق البندقي بنوع مميز من المكاتبات(١٢١). وقد حرص الأيوبيون أيما حرص على تنشيط التجارة مع مدن البحر المتوسط، عن طريق عقد الاتفاقيات التجارية، والإعفاءات الضريبية، وتأمين حركة التجارة، هذا إلى جانب الضرائب التي أخذوها من بضائعهم، ولعب تجار الكارم والتي أدخلت إلى خزينة الدولة أموالا في الحركة التجارية في هذه الفترة دورا مهما(١٢٢).

وقد صور القاضي الفاضل في خطاب صلاح الدين للخليفة العباسي عام ٥٨٨هـــ/ ١١٨٢م طبيعة العلاقات التجارية مع المدن التجارية في تلك الفترة:" ومن هؤلاء الجيوش البنادقة، والبياشـــنة، والجنوية كل هؤلاء تارة يكونون غزاة لا تطاق ضـــراوة ضـــرهم، ولا تطفأ شرارة شرهم، وتارة يكونون سفارا يحتكمون على الإسلام في الأموال المجلوبة، وتقصر عنهم يد الأحكام المرهوبة، وما منهم إلا من هو الآن يجلب إلى بلدنا آلة قتاله وجهاده، ويتقرب إلينا

بإهداء طرائف أعماله وتلاده، وكلهم قد قررت معهم المواصلة، وانتظمت معهم المسالمة، على ما نريد ويكرهون، وعلى ما نؤثر وهم لا يؤثرون"(١٢٣).

وفي عام ١١٩٢م، لما وقع الصلح بين صلاح الدين والفرنج، أمر المنادي أن ينادي "في الوطاقات والأسواق ألا إن الصلح قد انتظم، فمن شاء من بلادهم يدخل إلى بلادنا فليفعل، ومن شاء من بلادنا يدخل إلى بلادهم فليفعل"(١٢٤).

وفي محاولة النظر في آثار الوضع الذي سبق رصده من التعددية، نجد انعكاساته على الروايات المصدرية التاريخية للأحداث التي قد تتلاقى وقد تتصادم في تفسيرها للمواقف وشهاداتها على العصر. وعلى أرض الواقع يمكن القول بأنه كان للتعايش الذي شهدته القاهرة زمن الأيوبيين– عصر صلاح الدين – أثرًا واضحًا على مختلف طوائف التجار في الاطمئنان على أموالهم وتجارتهم ونقل نشاطهم التجاري(١٢٥)، الأمر الذي دعم الرخاء الاقتصادي الذي ظل صفة للمجتمع الأيوبي حتى بعد وفاة السلطان صلاح الدين، بسبب العلاقات التجارية(١٢٦) وبدليل المعاهدات التي عقدها خلفاؤه مع المدن الإيطالية، وخفوت ثورات الفلاحين في العصر الأيوبي، والدليل التاريخي بتغلب الأيوبيين على الحملة الصليبية الخامسة والسابعة(١٢٧).

وإذا كانت شخصية موسى بن ميمون قد أحرزت مكانة بارزة في المجتمع المصري في عصر صلاح الدين(١٢٨)، فهنا نجد آثار التعددية والتعايش السلمي في أبرز صورها؛ فإن هذه الشخصية قدمت إسهامات في مجال الطب (١٢٩)، كما رفعه اليهود لمرتبة مميزة، والذي لولا راية التسامح التي عاش في ظلها وهيأت المناخ المناسب لما نبغ علامة اليهود، وصارت تصله رسائل اليهود من كل أنحاء العالم تسأله الفتوى، واستطاع أن يؤلف كتبه الدينية التي هي سر شهرته(١٣٠).

وفي محاولة تقييم لدور صلاح الدين في هذا الوضع تقييما متحررا من التحيز نقوم بتحليل رأي عدو رئيسي له ولعصره وهو مؤرخ المملكة وليم الصوري الذي قال عن صلاح الدين أنه: "رجل حكيم الرأي، بطل في الحرب، وكريم فوق حد الكرم"، وعلق وليم على خطورة صفة الكرم لما لها من أثر في كسب قلوب الرعايا(١٣١)، وهي التي فسرناها تاريخيا بالرخاء الاقتصادي وأشارت لها المصادر الإسلامية بالكرم والجود(١٣٢).

أما حكمة الرأي فنجدها في هؤلاء الرجال الثلاثة الذين أحاطوا به، ولولاهم ما وصل صلاح الدين لهذا القدر من الشهرة، ولم يكونوا كتبة أو مجرد شهود على التاريخ؛ بل شاركوا في صنعه، فكان الثلاثة مختلفين عن بعضهم البعض، ولكنهم تجاوزوا اختلافاتهم بسبب القيم والأفكار المشتركة والهدف الأسمى الذي ساد العصر الذي عاشوا فيه(١٣٣)، هؤلاء هم: القاضي الفاضل(١٣٤)، وعماد الدين الأصفهاني(١٣٥)، وبهاء الدين بن شداد.

فمكانة الفاضل لدى صلاح الدين منحته القدرة على أن يكون مستشاره السياسي والعسكري(١٣٦)، ولا شك أن العلاقة بين ابن شداد وصلاح الدين تمثل حالة نادرة على مدى عصر الحروب الصليبية، فهذه صداقة بين مؤرخ وقائد عسكري فذ وسياسي بارز، ومن الواضح أن التواضع كان السبب في أزالة الحواجز بين السلطان والمؤرخ(١٣٧)، على الرغم من أن المجتمع الصليبي القريب منهم كان يستنكر صراحة ليس الصداقة بل أن "يؤثر الكاتب على الفارس"(١٣٨).

وكان صلاح الدين " يكرم من يرد عليه من المشايخ وأرباب العلم والفضل وذوي الأقدار"(١٣٩). كما كان بطل في الحرب من خلال انتصارته على الصليبيين، وسياسته المختلفة عن الفاطميين في تعاملهم مع هذا التهديد(١٤٠)؛ والتي جعلته ينتزع اعترافات من معارضيه كابن الأثير والمؤرخين اللاتين.

الخاتمة:

تبين من رصد مظاهر التعددية بين عناصر المجتمع في العصر الأيوبي من المصادر المتعددة الآتي:

* ضم المجتمع الإسلامي في بلاد الشام عناصر متعددة مؤثرة غير العناصر العربية: كالأتراك والتركمان والأكراد، بالإضافة إلى الفرنج. كما حوى من الناحية المذهبية طوائف متعددة فبجانب المذهب السني انتشرت فرق الشيعة، وانقسم مسيحيو الشرق إلى موارنة وأرمن وأقليات أخرى.

* يمكن اعتبار مصدر ابن الأثير الذي نشأ نشأة علمية ارستقراطية إقطاعية في كنف البيت الزنكي مصدر ثقة ثانوي فيما يتعلق بالأحداث التاريخية الرئيسية، رغم أنه يحتوي بعض التفاصيل، سواء ما كان منها وثيق الصلة بصلاح الدين أم بعيدها. لكنه يؤلف شاهدا مباشرا على ناحية هامة من تاريخ صلاح الدين، فهو يعكس من خلال مقابلة رواياته –التي

لم يتسع البحث لحصرها- مع الروايات المعاصرة، روح العداء والتحزب اللذين كان على صلاح الدين أن يكافح ضدهما في بناء صرح قوته السياسية والعسكرية.

* التقت الكتابة التاريخية لدى ابن الأثير بولائه الزنكي الموصلي المناهض لصلاح الدين الأيوبي، والمؤرخ الشيعي ابن أبي طيء، ووليم الصوري في بعض النقاط؛ فقد تناول المؤرخون طبقا لاتجاهاتهم علاقة نور الدين بصلاح الدين.

* تقدم المصادر التاريخية للفترة الأيوبية مادة ثرية في دراسة العنصر الكردي.

* يتضح من المطالعة الأولى لرواية "أبي صالح الأرمني" أوضاع الأرمن، وكان المغاربة شأنهم شأن الأرمن من ناحية تقلص نفوذهم خلال حكم صلاح الدين الأيوبي.

* لعب العرب دوراً بارزًا في عصر الأيوبيين في الزود عن بلاد الشام ضد هجمات الصليبيين، وإذا كان قد حدث في عهد الأيوبيين شيء من المناوأة لجماعات عربية معينة يمكن تفهمه في السياق التاريخي للأحداث، لا في السياق العنصري.

* جذبت سياسة التسامح التي سار عليها صلاح الدين في معاملة معارضي نور الدين من الشيعة، في تحول العامة تدريجيًا من المذهب الشيعي إلى المذهب السني؛ وانعكس ذلك في كتابات مؤرخيهم مثل ابن أبي طيء، ولابد من التأكيد على أنه من قبيل المبالغة القول بسرعة القضاء على المذهب الشيعي، وإعادة مصر إلى المذهب السني في بداية الدولة الأيوبية.

* سيطرة الشافعية والحنفية على الحياة العلمية لم تمنع تطور مذهبي المالكية والحنابلة، وهذا التنوع كان له أيضا انعكاساته المصدرية، فيلاحظ على مؤرخي هذا العصر غالبا عدم التحامل على أصحاب المذاهب الفقهية المخالفة عند الترجمة لهم.

* بعدما استتب الأمر لصلاح الدين بالقضاء على أنصار الدولة الفاطمية، وتعبيرا عن وحدة الصف المصري، ارتكز صلاح الدين في حكم مصر على المسلمين والأقباط، باعتبارهم أبناء بلد واحد، وباعتبارهم مواطنين مصريين. وعند محاولة النظر في أوضاع الأقباط في عصر صلاح الدين، تتجلى قيمة مُؤرَخ ساويرس بن المقفع.

* ولقد استمرت هجرة العلماء اليهود الغربيين إلى فلسطين طوال عهد صلاح الدين وأسرته من بعده، واستتبع هذه العودة أن سمح لهم السلطان صلاح الدين بحرية العمل وحرية العبادة، أمدنا الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي بتقرير عن أعداد يهود مصر.

* يمكن القول بأنه كان للتعايش الذي شـهدته مدينة القاهرة زمن الأيوبيين – عصـر صلاح الدين – أثرًا واضحًا على مختلف طوائف التجار في الاطمئنان على أموالهم وتجارتهم ونقل نشاطهم التجاري.

الهوامش

(١) ابن شداد (بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم ٥٣٩- ٦٣٢ هـ/ ١١٤٥- ١٢٣٩ م): النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الأيوبي)، تحقيق/ جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٤، ص ٣٦؛ أبي شامة (شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي ت ٦٦٥ه): كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، حققه وعلق عليه/ إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧،ط١، ج ٢، ص ص ٢٥٠- ٢٥١؛ ابن خلكان (أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ٦٠٨-٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤، المجلد السابع، ص ص ١٣٩: ٢١٨؛ المقريزي (تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي المتوفي عام ٨٤٥هـ): كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، صححه ووضع حواشيه / محمد مصطفى زيادة، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ٢٠٠٦، ط٣، الجزء الأول - القسم الأول، ص ص ٤١-٤٢؛ بن تغري بردي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ت ٨٧٤ه): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ٢٠٠٥، ط٢، ج٦، ص ص ١-٦٣؛ السيوطي (الأمام جلال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عثمان السيوطي المتوفي سنة ٩١١هـ): حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، وضع حواشيه/ خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧، ص ص ٣٠-٤٥؛ ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفي ت ٩٣٠هـ): بدائع الزهور في وقائع الدهور، حققها/ محمد مصطفى، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٨، الجزء الأول، ط٣، ص٢٣٧.

(٢) قاسم عبده قاسم: ماهية الحروب الصليبية ... الإيديولوجية – الدوافع – النتائج، دار عين، ٢٠٠٤، ص١٤٧.

(٣) شلبي إبراهيم الجعيدي: طبقة العامة في مصر في العصر الأيوبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٣، ص ٩٥.

(٤) جمال فوزي: التاريخ والمؤرخون في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية(٥٢١-٦٦٠هـ) ، القاهرة، ٢٠٠١، ص ١٣- ١٤.

(٥) راجع محمد مؤنس عوض: ١٠٠ كتاب عن صلاح الدين الأيوبي عرض ونقد، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠١٤م.

(٦) نذكر منها " أولى ابن الأثير لمواجهات صلاح الدين مع الأمراء المسلمين بعد انتقاله الى الشام إثر وفاة نور الدين محمود أهمية واسعة إذ خلا الجو لصلاح الدين في مصر فعمل على تثبيت قدمه فيها وقضى على كل المناوئين من الفاطميين، وغيرهم ممن أرادوا إزاحته عن ملكه، ولما تم ذلك تطلع إلى بلاد الشام التي كانت تحت حكم ابن السلطان نور الدين، الملك الصالح إسماعيل" عواد المنور: صلاح الدين الأيوبي في الكتابة التاريخية العربية في القرنيين (٦-٥٧/١٢-١٣م) ، رسالة ماجستير لم تنشر بعد، كلية العلوم الإنسانية ، الجزائر ٢٠١٢م، ص ١٠٣.

(٧) عواد المنور: المرجع السابق، ص ١٠٥- ١٠٨.

(٨) قاسم عبده قاسم: ماهية الحروب الصليبية، ص ١٩٣-١٩٤.

(٩) ابن الأثير (العلامة عزالدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني ت ٦٣٠ هـ):
الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦، المجلد الحادي عشر، أحداث عام ٥٩٩هـ، ص ٢٩٨- أحداث عام ٥٦٢هـ، ص٣٢٤ - أحداث عام ٥٦٤هـ، ص ٣٣٥.

(١٠) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المجلد الحادي عشر، ص٣٤٤؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: "البنية البشرية لجيوش صلاح الدين"، المجلة العربية للعلوم الانسانية، الكويت، مج ١٠، ع ٣٧، ١٩٩٠، ص١٤.

(١١) فيشير صاحب معجم البلدان أن صلاح الدين أسكن قوماً من الأكراد في جبيل لحفظها من الفرنجة . ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي) :معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٣، المجلد الثاني، ص ١٠٩.

(١٢) كامل أسود قادر: دور الكورد الحضاري في مصر وبلاد الشام خلال عهد المماليك الجراكسة (٧٨٤-٩٢٣هـ/ ١٣٨٢-١٥١٧م)، مطبوعات الأكاديمية الكوردية، أربيل، ٢٠١٤م، ص ٥.

(١٣) على سبيل المثال لا الحصر المقريزي: السلوك، ج١، ق١، ص ص ٣-٤-٥١-٦٥؛ "فلما انفرد صلاح الدين يوسف بملك مصر والشام، أزال ما كان بمصر من العساكر الملفقة وكانوا ما بين صقالبة ومصامدة وأرمن وشناترة العرب، وطائفة من العبيد الزنج، فمحا هذه الطوائف كلها، واستجد بمصر عساكر من الأكراد خاصة، فكان عدتهم اثنى عشر ألفا من شجعان الكرد". ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور،ج ١، ق ١، ص٢٤٢.

(١٤) العماد الأصفهاني (الكاتب ٥١٩- ٥٩٧ هـ): الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق وشرح وتقديم محمد محمود صبح، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٣، ص ٣٢٨.

(١٥) ابن منقذ (أسامة بن منقذ وهو مؤيد الدولة أبو مظفر أسامة بن مرشد الكناني الشيزري): كتاب الاعتبار، حرره / فيليب حتى، د.ف.، الثقافة الدينية، ٢٠٠١، ط١، ص ١٢٧- ١٤٧.

(١٦) مثل لفظ الأطلاب جمع طلب وهو لفظ كردي معناه الأمير الذي يقود مائتي فارس، وأطلق كذلك على قائد مائة أو سبعين، ثم أصبح يطلق على كتيبة من الجيش. ابن شداد: النودر السلطانية، حاشية (٣) ص ٥٧- ص ١٢٧؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: "البنية البشرية لجيوش صلاح الدين"، ص ٢٢.

(١٧) " الباب الرابع في ذكر مساجد دمشق وعدتها .. ٢١٦- مسجد في مدرسة بزان بن يامين الكردي المعروف بمجاهد الدين ..." ابن شداد (عز الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم المتوفي عام ٦٨٤هـ): الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة لابن شداد، تاريخ دمشق، عني بنشره و تحقيقه و فهارسه سامي الدهان، دمشق، ١٩٥٦م، ص ١٢١؛ وذكر ابن القلانسي في عام خمس وخمسين وخمسمائة: " وفي ليلة الجمعة من صفر توفى الأمير مجاهد الدين بزان بن مامين أحد مقدمي أمراء الأكراد والوجاهة في الدولة رحمه الله موصوف بالشجاعة والبسالة والسماحة مواظب على بث الصلات والصدقات في المساكين والضعفاء والفقراء ..." ابن القلانسي (أبى يعلى حمزة ت ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م): ذيل تاريخ دمشق، الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨، ص٣٥٩.

(١٨) محمد مؤنس عوض: صلاح الدين بين التاريخ والأسطورة، دار عين، ٢٠٠٨، ص ٢٥٤-٢٥٥.

(١٩) ففي الساعات المريرة - بالنسبة لمؤرخ اللاتيني قبيل استرداد القدس؛ فقد نقل أحد المؤرخين اللاتين عن صلاح الدين قوله الذي عكس سامحته، وقدم هذا المؤرخ العديد من الأمثلة التي امتدح فيها صلاح الدين وحرصه على احترام العهود، والرحمة التي أبداها تجاه أطفال الصليبيين، وتجاه الفقراء، والأسرى، والنساء الصليبيات. للأمثلة انظر المؤرخ المجهول: ذيل وليم الصوري، ت/ حسن حبشي (الهيئة المصرية، ٢٠٠٢)، ص ص١٠٥- ١٠٦، ص ص ١٠٩- ١١٠؛ المصدر السابق ص ص١٢٢- ١٢٥.

(٢٠) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المجلد الحادي عشر، ص ٣٦٨، ص ص ٣٧١-٣٧٣، ص٣٨٦، ص٢٩٣؛ ذكر ابن الأثير في حوادث عام ٥٧٠هـ "لما ملك صلاح الدين حماة سار إلى حلب فحصرها ثالث جمادي الآخر، فقاتله أهلها، وركب الملك الصالح، وهو صبي عمره اثنا عشرة سنة، وجمع أهل حلب وقال لهم: قد عرفتم إحسان أبي إليكم ومحبته لكم وسيرته فيكم، وأنا يتيمكم، وقد جاء هذا الظالم الجاحد إحسان والدي إليه يأخذ بلدي ولا يراقب الله تعالى، ولا الخلق ..." المصدر السابق، ج١١، ص ٤١٨؛ عبد الرحمن عزام : صلاح الدين وإعادة إحياء المذهب السني، ت / قاسم عبده قاسم، دار بلومزبري، قطر،٢٠١٣، ص ٣١٤.

(٢١) ذكر ابن الأثير عن صلاح الدين: "وكان رحمه الله، كريما، حليما، حسن الأخلاق، متواضعا، صبورا على ما يكره، كثير التغافل عن ذنوب أصحابه، يسمع من أحدهم ما يكره ولا يعلمه بذلك ولا يتغير عليه...وأما كرمه، فإنه كان كثير البذل لا يقف في شيء يخرجه ... وأما تواضعه، فإنه كان ظاهرا لم يتكبر على أحد من أصحابه...ولم يلبس شيئا مما ينكره الشرع ... وسمع الحديث وأسمعه، وبالجملة كان نادرا في عصره، كثير المحاسن ..." ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المجلد الثاني عشر، ص ص ٩٤-٩٧.

(٢٢) محمد مؤنس عوض: صلاح الدين بين التاريخ والأسطورة، ص ٢٥٤-٢٥٥.

(٢٣) عواد المنور: المرجع السابق ، ص ١٠٩.

(٢٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المجلد الحادي عشر، ص ٣٦٨، ص ص ٣٧١-٣٧٣، ص٣٨٦، ص٢٩٣؛ ذكر ابن الأثير في حوادث عام ٥٧٠هـ "لما ملك صلاح الدين حماة سار إلى حلب فحصرها ثالث جمادي الآخر، فقاتله أهلها، وركب الملك الصالح، وهو صبي عمره اثنا عشرة سنة، وجمع أهل حلب وقال لهم: قد عرفتم إحسان أبي إليكم ومحبته لكم وسيرته فيكم، وأنا يتيمكم، وقد جاء هذا الظالم الجاحد إحسان والدي

إليه يأخذ بلدي ولا يراقب الله تعالى، ولا الخلق ..." المصدر السابق، ج١١، ص ٤١٨؛ عبد الرحمن عزام : صلاح الدين وإعادة إحياء المذهب السني، ت / قاسم عبده قاسم، دار بلومزبري، قطر،٢٠١٣، ص ٣١٤.

(٢٥) عواد المنور: المرجع السابق، ص ٨٥ – ص ١٠٧ .

فبعد وفاة صلاح الدين انقسمت السلطنة الأيوبية بين أبنائه وأخيه وبعض أقاربه، فكان خليفته بمصر العزيز أبو الفتح عثمان وكان وقت وفاة أبيه مقيما بالقاهرة، وتولى ابنه الأفضل دمشق أو وسط سوريا، وابنه الظاهر غازي حكم بلاد الشام الشمالية وعاصمته حلب، أما أخوه العادل فحكم الكرك والشوبك والجزيرة وديار بكر" البلاد الشرقية"، وتولَّى أبناء عمومته حماة وحمص وبعلبك و اليمن. وهكذا تفككت عرى الدولة الإقليمية الكبرى التي جاهدت ثلاثة أجيال من أجل تشييدها وهم عماد الدين زنكي، نور الدين محمود، صلاح الدين الأيوبي، ولكن لابد من التأكيد أن هذا التقسيم كان متماشيا مع التقاليد السياسية السائدة، وكان له أثره في أن أطال عمر الكيان الصليبي في الشرق. وقد تعاقب على حكم مصر بعد وفاة صلاح الدين ستة حكام من البيت الأيوبي. قاسم عبده قاسم: في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار عين، القاهرة، ٢٠٠١م ،ص ٨٠

(٢٦) حيث تناول الخلاف بين صلاح الدين ونور الدين خاصة قبل قطع الخطبة للفاطميين ، وقد علل بعض الباحثين تحامل يحيى بن أبي طيء على نور الدين في ضوء المصادر التاريخية كأبو شامة ، وذكر مواقف اسهمت في تكوين تلك الصورة خاصة الرواية التي تتعلق بموقف نور الدين من وزارة صلاح الدين في مصر،والتي تظهره متحاملا على صلاح الدين وكاره لما وصل إليه صلاح الدين بمصر. للمزيد انظر عواد المنور: المرجع السابق، ص ١٢٣-١٢٤

(٢٧) وليم الصوري: الحروب الصليبية تاريخ الأعمال التى تمت في بلاد ما وراء البحر، ت/ حسن حبشي، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١-١٩٩٥)، ج٤، ص١٨٨.

(٢٨) "وحينذاك قام صلاح الدين غير عابىء بقوانين الأنسانية فوقف في وجه مولاه الشرعي متناسيا وضعه السيء وجاحدا أيادي أبيه البيضاء عليه وأفضال والد ذلك الملك الصبي". وليم الصوري: المصدر السابق، ج٤، ص ١٨٩.

(٢٩) ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص ص ٩٢-٩٤؛ ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم بن واصل المتوفي سنة ٦٩٧هـ): مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق/ جمال الدين الشيال، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٧،ج٢، ص٣٢.

(٣٠) ابن شداد (بهاء الدين بن شداد): النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص ١٠١.

(٣١) ناصر عبد الرزاق الملا جاسم: "صورة صلاح الدين في كتاب (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية)"، المجلة الثقافية الأردن، ١٩٩٨م، ص ٢٤١-٢٤٢.

(٣٢) " فأحضر صلاح الدين كمال الدين بن الشهرزوري وهو قاضي البلد والحاكم في جميع أموره من الديوان والوقف وغير ذلك وأرسله إلى ريحان ليسلم القلعة إليه ، وقال أنا مملوك الملك الصالح وما جئت إلا لأنصره وأخدمه وأعيد البلاد التي أخذت منه إليه وكان يخطب له في بلاده كلها فصعد كمال الدين إلى ريحان ولم يزل معه حتى سلم القلعة فصعد صلاح الدين إليها وأخذ ما فيها من الأموال وأخرجها واتسع بها وثبت قدمه وقويت نفسه وهو مع هذا يظهر طاعة الملك الصالح ويخاطبه بالمملوك والخطبة والسكة باسمه" ابن الأثير: المصدر السابق، ج١١، ص ٤١٧.

(٣٣) السير هاملتون.آ.ر. جب. : صلاح الدين دراسات في التاريخ الإسلامي، حررها/ يوسف ايبش، بيسان، بيروت، ١٩٩٦، ص٨٤

(٣٤) " سار صلاح الدين عن حران في ربيع الأول فحضر عنده عساكر الحصن ودارا ومعز الدين سنجر شاه صاحب الجزيرة وهو ابن أخي عز الدين صاحب الموصل وكان قد فارق طاعة عمه بعد قبض مجاهد الدين وسار مع صلاح الدين إلى الموصل فلما وصل إلى مدينة بلد سير أتابك عز الدين والدته إلى صلاح الدين ومعها ابنة عمه نور الدين محمود بن زنكي وغيرهما من النساء وجماعة من أعيان الدولة يطلبون منه المصالحة وبذلوا له الموافقة والأنجاد بالعساكر ليعود عنهم وإنما أرسلهن لأنه وكل من عنده ظنوا أنهن إذا طلبن منه الشام أجابهن إلى ذلك لا سيما ومعهم ابنة مخدومه وولي نعمته نور الدين فلما وصلن إليه أنزلهن وأحضر أصحابه واستشارهم فيما يفعله ويقوله فأشار أكثرهم بإجابتهن إلى ما طلبن منه ؛ وقال له الفقيه عيسى وعلي بن أحمد المشطوب وهما من بلد الهكارية من أعمال الموصل مثل الموصل لا يترك لامرأة فإن عز الدين ما أرسلهن

إلا وقد عجز عن حفظ البلد ووافق ذلك هواه فأعادهن خائبات واعتذر بأعذار غير مقبولة ولم يكن إرسالهم عن ضعف ووهن إنما أرسلهن طلبا لدفع الشر بالتي هي أحسن فلما عدن رحل صلاح الدين إلى الموصل وهو كالمتيقن أنه يملك البلد وكان الأمر بخلاف ذلك فلما قارب البلد نزل على فرسخين منه وامتد عسكره في تلك الصحراء بنواحي الحلة المراقية وكان يجري بين العسكر مناوشات بظاهر الباب العمادي وكنت إذ ذاك بالموصل وبذل العامة نفوسهم غيظا وحنقا لرده النساء فرأى صلاح الدين ما لم يكن يحسبه فندم على رده النساء ندامة الكسعي حيث فاته الذكر وملك البلد وعاد على الذين أشاروا بردهن باللوم والتوبيخ.
وجاءته كتب القاضي الفاضل وغيره ممن ليس له هوى في الموصل يقبحون فعله وينكرونه وأتاه وهو على الموصل زين الدين يوسف ابن زين الدين صاحب إربل فأنزله ومعه أخوه مظفر كوكبري وغيرهما من الأمراء بالجانب الشرقي من الموصل وسير من المنزلة علي بن أحمد المشطوب الهكاري إلى قلعة الجزيرة من بلد الهكارية فحصرها واجتمع..." ابن الأثير: المصدر السابق، ج١١، ص ٥١١-٥١٢، السير هاملتون.آ.ر. جب. : المرجع السابق ، ص ٨٧.

(٣٥) ثم سار السلطان لقصد الموصل ، وولى تلك الديار مملوكه حسام الدين سنقر الخلاطي، فنزل السلطان على دجلة بكفر زمار بقرب الموصل في شعبان ، وعزم على أن يشتي في ذلك المكان ، فخرجت من الموصل نساء أتابكيات معرضات للشفاعة ، فأكرمهن السلطان ، ووعدهن بالأحسان، وقال: قد قبلت شفاعتكن لكن لابد من مصلحة تتم ، ومصالحة نفعها يعم " أبي شامة: المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٣٤

(٣٦) السير هاملتون.آ.ر. جب. : المرجع السابق ، ص ٨٧- ٨٨.

(٣٧) ورد في رسالة بقلم القاضي الفاضل: " وبها عسكر من الأرمن باقون على النصرانية، موضوعة عنهم الجزية، ولهم شوكة وشكة، وحمة وحمية ..." أبي شامة: المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٦٠؛ ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج٢، ص ٢٦؛ لما كثر المهاجرون من الأرمن وازداد عددهم انتخبوا لهم بطريركا يدعى غريغوري" أ. ل. بتشر: تاريخ الأمة القبطية وكنيستها، مصر، ١٩٠٦، المجلد الثالث، ص ٧١.

(٣٨) أبي شامة: المصدر السابق، ج٢، ص ٢٨٤؛ القلقشندي (أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي ٨٢١هـ-١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الأنشا، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٠، ط٣، ج٦، ص ٥١٠؛ المقريزي (تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي المتوفي عام ٨٤٥هـ): اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق/ محمد حلمي محمد احمد، القاهرة، ١٩٩٦، ج٣، ص ٣١٣.

(٣٩) أبى صالح الأرمني: تاريخ الشيخ أبى صالح الأرمني .. تذكر فيه أخبار من نواحي مصر وإقطاعها، طبع في المطبعة المدرسية، أوكسفورد،، ١٨٩٥، ص٣.

(٤٠) للمزيد أنظر محمود الرويضي ومحمد سالم الطراونة :" دور الأرمن في تأسيس إمارتي الرها وأنطاكية الصليبيتين"، حوليات آداب عين شمس، المجلد ٣٠، يوليه - سبتمبر ٢٠٠٢، ص ص ١٧٣-٢٠٢.

(٤١) المقريزي: السلوك، ج١ ق١، ص٩٤؛ شلبي إبراهيم الجعيدي: المرجع السابق، ص ٩٥.

(٤٢) أبي الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي البلنسي (٥٤٠-٦١٤هـ/ ١١٤٥-١٢١٧ م): رحلة إبن جبير، ضبطه ووضع فهارسه: محمد زينهم (دار المعارف، ٢٠٠٠)، ص ٥٣- ص ٦٠؛ زكريا أحمد محمد يوسف: النشاط التجاري في مصر في العصر الأيوبي، ماجستير، كلية الآداب، بنها،١٩٩٧م، ص ٣٦٠.

(٤٣) ابن جبير: المقدمة، ص ٦.

(٤٤) "ومآثر هذا السلطان ومقاصده في العدل ومقاماته في الذب عن حوزة الدين لا تحصى" ابن جبير: المصدر السابق، ص ٥٤؛ للمزيد انظر ــ ابن جبير: المقدمة، ص ٨.

(٤٥) الوهراني (ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني المتوفي عام ٥٧٥هـ): منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، تحقيق/ إبراهيم شعلان و محمد نغش، مراجعة/ عبد العزيز الأهواني، ألمانيا، ١٩٩٨، ص ص ٤٩-٥٠.

(٤٦) تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي (المتوفي عام ٨٤٥هـ): البيان والإعراب عمن في أرض مصر من قبائل الأعراب ... كتاب رسائل المقريزي، دراسة وتحقيق / رمضان البدري وأحمد مصطفى قاسم، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٨، ط١، ص١٢٥.

(٤٧) القلقشندي (أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي ٨٢١هـ-١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الأنشا، ج٤، ص ص ٦٧-٧٢.

(٤٨) "فلما فتح السلطان صلاح الدين بن يوسف بن أيوب بلاد غزة وأعادها الله من أيدي الفرنج إلى المسلمين جاءت ثعلبة وطائفة من جرم إلى مصر وبقيت بقايا جرم مكانها. والمشهور من جرم هذه جذيمة ويقال إن لهم نسباً في قريش وزعم بعضهم أنها ترجع إلى مخزوم، وزعم آخرون أنها جذيمة بن مالك بن حسل ابن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر، وجذيمة هذه آل عوسجة وآل أحمد وآل محمود وكلهم في إمارة شاور بن سنان ثم في بنيه، وكان لسنان أخوان فيهما سؤدد وهما غانم وخضر،ومن جذيمة هؤلاء جمائع الرائدين جماعة منصور بن جابر وجماعة عامر بن سلامة ومنهم بنو أسلم وأسلم هذه من جذام لا من جذيمة وإنما اختلطت مع جذيمة، ومنهم شبل ورضيعة جرم والنمور والقَدرةَ جماعة عليم بن رميح والأحامدة والرفثة وكور من جرم جماعة جابر بن سعيد وموقع وكان كبيرهم مالك الموقعي وكان مقَدماً عند السلطان صلاح الدين وأخيه العادل أبي بكر".عبد المجيد عابدين: البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب للمقريزي مع دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1989، الطبعة الأولى.

(٤٩) المقريزي: البيان والإعراب عمن في أرض مصر من قبائل الأعراب، ص ١٢٦.

(٥٠) المصدر السابق: ص ١٢٧.

(٥١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المجلد الحادي عشر، ص ٣٦٦.

(٥٢) ففي عصر الفاطميين، تمكنت ربيعة وأحلافها أن يؤسسوا أول إمارة عربية في أرض المعدن بالعلاقي، وكانت أسوان مقراً لها، وامتد سلطانها جنوباً في أرض "مريس"، وقد أقر الفاطميون هذه الإمارة الناشئة، واستعان الخليفة الفاطمي، بزعيم ربيعة في ذلك الحين في القبض على الثائر الأموي الأندلسي "أبي ركوة" وكان قد لجأ إلى بلاد النوبة. وسر الحاكم بأمر الله، وكافأ زعيم ربيعة بلقب "كنز الدولة" وتوارث أبناؤه هذا اللقب. ويبدو أن الأيوبيين حين قدموا مصر، كانوا يتوجسون خيفة من إمارة كنز الدولة. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المجلد الحادي عشر، ص ٤١٤؛ ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص ٨٩-٩٠؛ ولمزيد من التفاصيل أبي شامة: المصدر السابق، ج٢، ص ٢٤٥؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢، ص١٦-١٧؛ المقريزي :البيان والإعراب، ص ١٤٣؛ المقريزي: السلوك، ج١ق١، حوادث عام ٥٧٠هـ ص٥٧-٥٨.

(٥٣) المقريزي: السلوك، ج١ ق١، ص ٧١. تؤيد المصادر اللاتينية على الجانب الآخر هذه الفرضية على سبيل المثال انظر وليم الصوري: المصدر السابق، ج٤، ص ٢٢٢؛ المؤرخ المجهول: ذيل وليم الصوري، ص ٢٣٢ ص ٢٣٣-٢٣٤؛

Ambroise, The Crusade of Richard Lion – Heart, trans. from old Fremch by Merton Jerome Hubert with notes and Docmentation by John La Mont, (New york– 1941) , p. 383;

Oliver of Paderborn, The Capture of Damietta, trans. J.J. Gavigan,Philadelphia,1948), p.64.

جوانفيل: القديس لويس- حياته وحملاته على مصر والشام، ت/ حسن حبشي (دار المعارف، ١٩٦٨)، ص ١١٣.

(٥٤) جمال فوزي: المرجع السابق، ص ٢٠-٢١.

(٥٥) مثل ابن مماتي الذي تقلب في كثير من دواوين الدولة وانتهى به الأمر إلى تقلد الوزراة، وأصله من أسيوط. بن مماتي (الأسعد بن المهذب بن أبي مليح ت ٦٠٦ه): كتاب قوانين الدواوين، جمعه وحققه/ عزيز سوريال عطية، القاهرة، ١٩٩١م، ط١، ص ٧-٩؛ المقريزي :السلوك، ج١ق١،ص ١٠٥؛ شلبي إبراهيم الجعيدي: المرجع السابق، ص ٩٦.

(٥٦) عاش بن واصل زمن الأيوبيين بعد العادل الأول، وزمن المماليك حتى بيبرس الأول، وتميز عن غيره بأنه كتب تاريخا كاملا للأيوبيين فضلا عما كتبه عن الزنكيين وفي سلاطين المماليك . محمد مصطفى زيادة: " ابن واصل ... مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ... نشره جمال الدين الشيال " المجلة التاريخية المصرية، العدد الأول، المجلد الرابع، مايو ١٩٥١، ص ٢٥٦.

(٥٧) ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج٢، ص١٩٣؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: "البنية البشرية لجيوش صلاح الدين"، ص ٢٩.

(٥٨) ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٢، مقدمة الناشر ص (م)؛ ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور،ج١، ق١، ص ٢٤٧.

(٥٩) "وبها راجل من السودان يزيد على مائة ألف رجل، كلهم أغتام أعجام، إن هم إلا كالأنعام لا يعرفون ربا إلا ساكن قصره، ولا قبله إلا ما يتوجهون إليه من ركنه" أبي شامة: المصدر السابق، ج ٢، ص٣٦٠؛ ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج٢،ص ٢٦؛ المقريزي (تقي الدين أبي العباس أحمدبن علي المقريزي المتوفي عام ٨٤٥هـ): اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ج٣، ص ٣١٤؛ ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة ... تاريخ مصر من بدايات القرن الأول حتى نهاية القرن العشرين، تحقيق/ عبدالعزيز جمال الدين، الجزء الثالث– المجلد الثاني، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٦، ص ١٤٣٦؛ شلبي إبراهيم الجعيدي: المرجع السابق، ص٩٧.

(٦٠) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المجلد الحادي عشر، ص٣٤٦- ٣٤٧؛ ابن شداد (بهاء الدين بن شداد): النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص ٨٩-٩٠؛ أبو شامة: المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٦١؛ ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج١، ص ١٧٦؛ المصدر السابق،ج٢، ص١٧؛ بن تغري بردي: المصدر السابق، ج٦، ص ٧٠-٧٨؛ ساويرس ابن المقفع: المصدر السابق، الجزء الثالث – المجلد الثاني، ص١٤٥٣.

(٦١) عبد الرحمن عزام: المرجع السابق، تعقيب قاسم عبده قاسم ص ٢٨٤.

(٦٢) أبو شامة: المصدر السابق، ج٢، ص ٣٥٩.

(٦٣) شلبي إبراهيم الجعيدي: المرجع السابق، ص ١٦٦.

(٦٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المجلد الحادي عشر، ص ٣٦٩؛ أبوشامة :المصدر السابق، ج٢، ص١٩١؛ أبي الفدا (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ابن علي ٦٧٢-٧٣٢هـ/ ١٢٧٣- ١٣٣١م): المختصر في أخبار البشر، تقديم/ حسين مؤنس، تحقيق/ محمد زينهم محمد عزب ويحيى سيد حسين، دار المعارف، ج٣، ص٦٦.

(٦٥) نقلا عن أبو شامة: المصدر السابق، ج٢، ص٢٠٣.

(٦٦) الوهراني: المصدر السابق، ص ٦.

(٦٧) ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج١، ص١٩٨؛ المقريزي (تقي الدين أبي العباس أحمدبن علي المقريزي المتوفي عام٨٤٥هـ): كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة الثقافة، ١٩٨٧، ط ٢، ج١، ص٣٥٩.

(٦٨) " واختفى مذهب الشيعة من الأمامية والإسماعيلية" المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ج٣، ص ٣٢٠.

(٦٩) شلبي إبراهيم الجعيدي: المرجع السابق، ص ١٦٧.

(٧٠) عبداللطيف حمزة: الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠١٦، ص ص١٦٧- ١٦٨.

(٧١) فذكر الأدفوي في معرض حديثه عن أسنا: "... كان التشيع بها فاشيا، والرفض بها ماشيا، فجف حتى خف..." ؛ وعن أسفون: "... بلدة معروفة بالتشيع البشع، لكنه خف بها وقل..."؛ وكذلك أرمنت: "... وكان التشيع بها كثيرا فقل أوفقد ..." الإدفوي (كمال الدين أبي الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر الأدفوي الشافعي ت ٧٤٨ هـ): الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعالي الصعيد، مصر، ١٩١٤، ط١، ص ص ١٧-١٨.

(٧٢) أبو شامة: المصدر السابق، ج٢، ص ٢٨٣- ص ٢٨٦.

٧٣) " هو يحي بن أبي طيء النجار الغساني الحلبي، والمعروف في كتب التاريخ بابن أبي طيء (ولد ٥٧٥هـ/ ١١٨٠م) كان أبوه رئيس نقابة النجارين بمدينة حلب، وأحد زعماء الشيعة بها." نظير حسان سعداوي: المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الايوبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ٣.

٧٤) " قال ابن أبي طي: وهذا أكبر الموانى في مصالحة السلطان لسنان وخروجه من بلاد الإسماعيلية، لأن السلطان خاف أن تهيج الفرنج في الشام الأعلى ، وهو بعيد عنه، فربما ظفروا من البلاد بطائل، فصالح سنانا وعاد إلى دمشق" أبو شامة: المصدر السابق، ج٢، ص ٤٢٤ ؛ نظير حسان سعداوي: المرجع السابق، ص ٥..

(٧٥) المقريزي: الخطط، ج ١، ص ٣٥٩؛ محمد حلمي محمد أحمد: "الحياة العلمية في مصر والشام ٥٢١-٦٤٨هـ (١١٢٧-١٢٥٠م) "، المجلة التاريخية المصرية، المجلد السابع، ١٩٥٨م، ص ٨-٩.

(٧٦) محمد حلمي: المرجع السابق، ص ١١.

(٧٧) ذكر ابن إياس أن الملك صلاح الدين يوسف" بنى المدرسة المعروفة بالسيوفية، وجعلها للحنفية؛ ثم بنى المدرسة المعروفة بالقمحية، وجعلها للمالكية؛ ثم بنى المدرسة العظيمة التي بجوار الإمام الشافعي، رضي الله عنه، وجعلها للشافعية؛ ثم بنى مدرسة عند دار الضرب، وجعلها للحنابلة" ". ابن إياس (محمدبن أحمدبن إياس الحنفي): بدائع الزهور في وقائع الدهور،ج١، ق١، ص ٢٤٣.

(٧٨) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المجلد الحادي عشر، ص ٣٦٦؛ ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج٢، ص٥٤.

(٧٩) الباز العريني: الشرق الأدنى في العصور الوسطى ... الأيوبيون، دار النهضة العربية، ص ص ٢٢٠-٢٢١.

(٨٠) السيوطي (الأمام جلال الدين عبدالرحمن بن محمد بن عثمان السيوطي المتوفي سنة ٩١١هـ): حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ص ٣٩٧.

(٨١) كتب أبو شامة: "وكتب الفاضل عن السلطان إلى العادل وهو بمصر: أنتهى إلينا أن بالديار المصرية والحضرة العلية، جماعة من الفقهاء قد اعتضدوا بجماعة من أرباب السيوف، وبسطوا ألسنتهم بالقول غير المعروف، وأنشأوا من العصبية ما أطاعوا به القوى الغضبية، وأحيوا بها ما أماته الله من أهل حمية الجاهلية، والله سبحانه يقول، وكفى بقوله حجة على من كان سميعا مطيعا (واعتصموا بحبل الله جميعا). ولم يزل التعصب يملأ القلوب بالشحناء، ويشحنها، وقد نهى الله عن المجادلة لأهل الخلاف فكيف لأهل الوفاق إلا أن يقال أحسنها، وما علمنا أن في هذه نية تنجد، ولا مصلحة توجد، ولا هداية تعتقد، بدراسة تعقد، ونار عداوة توقد، وقلما أثمرت المشاجرة إلا خلافا، فالمجلس أعزه الله يوعز بكف الألسنة الخائضة، وعقل الأعنة الراكضة، فإن أقنع بلطفه المرضى وإلا كانت همته الرائضة، ومن عاد بعد الزجر أبعد عن مستقره، وأزعج، وليسع الخلف ما وسع السلف من الأدب، وليعلم العبد أنه يكتب كتابا إلى ربه فليفكر فيما كتب وإلى من كتب "شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف (بأبي شامة): المصدر السابق، ج٤، ص ص ٢٢٣-٢٢٤.

(٨٢) "تكمن عبقرية نظام الملك في فهمه أن موقف الحنابلة الحرفيين المعادي للعقلانية والأشعرية لا يمكن أن يشكل فكرا أيديولوجيا يمكن بناء مذهب سني وسط عليه، فقد حذر المذهب القادري بمعاقبة المسلمين الذين يتجاوزون حدودهم فكريا بالعقوبة والنفي، ولكن مثل هذا الموقف التصادمي، الذي ظهر في ظل الحصار الشيعي للخليفة، لا يمكن الاستمرار عليه. ويبدو المفارقات واضحة في أن نظام الملك كان شافعيا، لكن طغرل بك وهو السلطان الذي كان في خدمته كان حنفيا، بينما كان الخليفة حنبليا...هذا في ظل الروايات والأغاني والحكايات العديدة التي تروي العداوة بين أصحاب المذاهب المختلفة " .عبد الرحمن عزام: المرجع السابق، ص ٣١.

(٨٣) عبد الرحمن عزام: المرجع السابق، ص ١١٢.

(٨٤) عماد الدين الأصفهاني (القاضي الأجل عماد الدين الأصفهاني): البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، دراسة وتحقيق/ محمد علي الطعاني، الأردن- السعودية،٢٠٠٣، حوادث عام ٥٧٨هـ ص ٤١٨.

(٨٥) جمال فوزي: المرجع السابق، ص ٢٩٢.

٨٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المجلد ١٠، ص ٢٧٩-٢٨٠.

٨٧) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المجلد ١٠، ص٥٤٥.

(٨٨) السيد الباز العريني: الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ص ٢١٦.

(٨٩) لم يترجم لساويرس بن المقفع أحد من أصحاب كتب التراجم المعروفة وإنما كتب عن نفسه في الكتاب المنسوب إليه. وقد كان ساويرس أسقفا للأشمونين التي تقع بين المنيا وأسيوط في الوجه القبلي بمصر. ولا نعرف تاريخ وفاته ولكن يتضح لنا مما كتب في سير الآباء البطاركة أنه عاش حتى زمن الخليفة الفاطمي المعز لدين الله . وقد أتم كتاب ساويرس من أتى بعده من الكتاب والأساقفة ولكن الكتاب ينسب إلى ساويرس. سيدة إسماعيل كاشف: "تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية لساويرس بن المقفع وأهميته لدراسة التاريخ القومي" المجلة التاريخية المصرية، المجلدان التاسع والعاشر، ٦٠-١٩٦٢، ص ١-٢.

(٩٠) سيدة إسماعيل كاشف: المرجع السابق، ص ١٠

(٩١) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة، الجزء الثالث – المجلد الثاني، ص١٤٣١- ١٤٤٥؛

المقريزي: السلوك، الجزء الأول - القسم الأول، ص ٤٧-٤٨، ص ٧٧؛ ابن أيبك الدواداري (أبو بكر بن عبد الله ت ٧٣٦ه): كنز الدرر وجامع الغرر، ج٧، الدرر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب، تحقيق / سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٩٧٢م، ص ٣٩-٤٠.

(٩٢) أبو شامة: المصدر السابق، ج٢، ص١٣١.

(٩٣) "ثم ملكوا مدينة القدس الشريف وما يليها في شهر رمضان سنة اثنين وتسعين واربع ماية الهلالية، وصرنا معشر النصارى اليعاقبة القبط لا نصل إلى الحج إليها ولا نتمكن من الدنو من ذلك لأجل ما هو من بغضهم لنا واعتقادهم فينا وتكفيرهم إيانا". ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة، الجزء الثالث – المجلد الثاني، ص ١١٦١؛ للمزيد انظر يعقوب نخلة روفيله: تاريخ الأمة القبطية مطبعة، متروبول، ٢٠٠٢، ط٢، ص ص ١٥٧- ١٦٩.

(٩٤) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة، الجزء الثالث– المجلد الثاني، ص١٤٣٧؛ يعقوب نخلة روفيله: المرجع السابق، ص ١٥٨.

(٩٥) Introduction To The Coptic Orthodox Church, FR. Tadros Y. Malaty ST. George's Coptic Orthodox Church Sporting – Alexandria Egypt, 1993, P.151.

عزيز سوريال عطية: تاريخ المسيحية الشرقية، ت/ إسحاق عبيد، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥، ص ١١٤-١١٥.

(٩٦) عزيز سوريال عطية: المرجع السابق، ص ١١٨.

(٩٧) "فقربهم وأدناهم، واستخدمهم في ديوانه وفي أموال دولته، وأنعم عليهم، فعادوا إلى أرفع مما كانوا عليه، وركبوا الخيل والبغال ولبسوا الخفاف والثياب المفرحة وساروا معه في الغزوات كتاب ديوانه وكتاب أهله وأقاربه ..." ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة، الجزء الثالث – المجلد الثاني، ص ١٥٩٩-١٦٠٠.

(٩٨) عمر مصطفى لطف : حكاية يهود مصر... العصر الأيوبي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٣، ص ١٨.

(٩٩) عطية القوصي: "صلاح الدين واليهود"، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع والعشرون، ١٩٧٧، ص ٣٩

(١٠٠) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة، الجزء الثالث – المجلد الثاني، ص١٤٣١-ص١٤٦٩ ؛وهو ما يتفق مع ماجاء في غيره من المصادر انظر. أبو شامة: المصدر السابق، ج٢، ص ١٢٠- ص ١٣٨؛ ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور،الجزء الأول القسم الأول، ص٢٣٨؛ يعقوب نخلة روفيله: المرجع السابق، ص ١٧٢.

(١٠١) ابن جبير: المصدر السابق، ص ٥٣؛ عمر مصطفى لطف: المرجع السابق، ص ٢٢.

(١٠٢) الأسعد بن مماتي: كتاب قوانين الدواوين، ص ٣١٧-٣١٨ .

(١٠٣) ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى ت ٦٨٥ه): النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ... القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب في حلى المغرب ،تحقيق/ حسين نصار، دار الكتب، ١٩٧٠، ص ٢٨.

(١٠٤) فعلى سبيل المثال الأسعد بن مماتي كان من أصل قبطي، واستطاع ان يجمع إلى جانب فقه المسلمين علم الأقباط في شتى المسائل التي اختصوا بها دون غيرهم من طوائف الأمة المصرية وطبقاتها، مثل ملاحظاته عن شهور السنة القبطية وعلاقتها بالزراعة المصرية مما يتضح في كتابه قوانين الدواوين. الأسعد بن مماتي: كتاب قوانين الدواوين، ص ص ٢٣٤- ٢٥٧، لويس شيخو: وزراء النصرانية وكتابها في الإسلام ٦٢٢-١٥١٧م، حققه/ الأب كميل حشيمة اليسوعي، لبنان – روما، ١٩٨٧، ص٩٥- ٩٦.

(١٠٥) على سبيل المثال المكين سمعان بن كليل بن مقارة "وكان سمعان كاتبا حاذقا، تقلبت به الخدم؛ فخدم بديوان الجيش أيام الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة ١١٧٣/٥٦٩، وتميز عنده وأعطاه إقطاعا في هجروان، واستمر بديوان الجيش سنين ثلاثا. وترك الخدمة في الدولة العادلية وتلاهب" لويس شيخو: مرجع سابق، ص٩١-٩٢،ص١٣٥؛ عمر مصطفى لطف: المرجع السابق، ص٢٢.

(١٠٦) بنيامين التطيلي..الرحالة الرابي بنيامين بن يونه التطيلي النباري الأندلسي ٥٦١-٥٦٩هـ/ ١١٦٥-١١٧٣م، ت/ عزرا حداد، دراسة وتقديم / عبد الرحمن عبدالله الشيخ، المجمع الثقافي، أبوظبي، ٢٠٠٢م، ص ص ٢٤٠-٢٦٩؛ انظر المقدمة ص ٥٠.

(١٠٧) عطية القوصي: المرجع السابق، ص ٤٢- ٤٣.
(١٠٨) على سبيل المثال يحيى بن سليمان الحريزي الشاعر والمترجم الأندلسي اختلف المؤرخون والباحثون حول اسمه ومكان ولادته ووفاته وزمانهما، لكن اتضح الأمر بعد اكتشاف مخطوط بالعربية لأحد معاصريه وهو المبارك الذي أزال النقاب عن السيرة الذاتية للحريزي والتي كانت محل جدال واختلاف بين الباحثين لفترات .طويلة وعن اسمه يقول بن الشعار :" يحي بن سليمان بن شاؤول أبو زكريا الحريزي " والذي أطلق عليه الاسم العبري يهوذا الحريزي ٥٧١ - ٦٢٢هـ، ١١٦٦ - ١٢٢٥م، والذي ترجم كتب موسى بن ميمون القرطبي (١١٣٥ – ١٢٠٣م) الهامة التي كتبها باللغة العربية وهي كتابه الفلسفي «دلالة الحائرين» وتفسيره عن المشنا المسمى «كتاب السراج» إلى اللغة العبرية. كما ترجم الحريزي «مقامات الحريري» لصاحبه محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري (٤٤٦–٥١٦ هـ | ١٠٥٤–١١١٢م) إلى العبرية. عندما بلغ الحريزي سن العشرين، بدأ جولة طويلة من وطنه الأندلس إلى الشرق. وصل فيها إلى القدس وبلاد الشام وبغداد وأكثر من ذلك. وذكرت المصادر التاريخية بأنه لم يعد إلى بلاده بل توفي في مدينة حلب. ألف «المقامات» وذكر فيها تجواله وزياراته للجاليات اليهودية في البلدان العربية وذكر أدبهم وثقافتهم في القرن الثالث عشر الميلادي. وذكر في كتابه القائد صلاح الدين الأيوبي الذي رحب بعودة اليهود إلى أورشليم القدس عام ١١٨٩م ابن الشعار الموصلي (كمال الدين أبي البركات المبارك ابن الشعار الموصلي ١١٩٧ – ١٢٥٦م) : قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، تحقيق / كمال سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، الجزء التاسع، المجلد السابع، ص ٢٥٧؛ هيثم محمود إبراهيم أحمد: الاحتيال في مقامات الحريزي العبرية...مصادره وأشكاله وأهدافه- دراسة مقارنة، رسالة ماجستير، كلية الآداب بقنا جامعة جنوب الوادي، ٢٠١١، ص ٥، ص ص ١١- ٤٩؛ عمر مصطفى لطف: المرجع السابق، ص ٤٢.
(١٠٩) بنيامين التطيلي: المصدر السابق، ص ٢٤٨.
(١١٠) بنيامين التطيلي: المصدر السابق، ص ٥٥.
(١١١) عطية القوصي: المرجع السابق، ص ٤٢- ٤٣.
(١١٢) بنيامين التطيلي: المصدر السابق، ص ص ٣٤٦-٣٦٠؛ قاسم عبده قاسم: اليهود فى مصر والمغرب العربي (ق٧– ١٠ هـ/ ق١٣– ١٦ م)، دار عين- قسم المغرب العربي، ٢٠١٥.
(١١٣) بنيامين التطيلي : المصدر السابق، عبدالرحمن الشيخ في مقدمة الرحلة ص ٨.
(١١٤) قاسم عبده قاسم: اليهود في مصر، ص١٠.
(١١٥) "وعمر الشيخ أبو البيان بن المدور وتعطل في آخر عمره من الكبر والضعف، من كثرة الحركة والتردد إلى الخدمة، فأطلق له الملك الناصر صلاح الدين رحمة الله في كل شهر أربعة وعشرين دينارا مصرية تصل إليه، ويكون ملازما لبيته، ولا يكلف خدمة. وبقى على تلك الحال وجامكيته تصل إليه نحو عشرين سنة". ابن أبي أصيبعة (موفق الدين أبي العباس أحمدبن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي ت ٦٦٨هـ): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار رضا، دارمكتبة الحياة، بيروت، ص ٥٧٩-٥٨٠.
(١١٦) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٥٨٢.
(١١٧) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة، الجزء الثالث – المجلد الثاني، ص ١٤٣١-١٤٧٥-١٥٩٣.
(١١٨) قاسم عبده قاسم: أهل الذمة في مصر العصور الوسطى ..دراسة وثائقية، دار المعارف، ١٩٧٩، ط ٢، ص ٥٨.
(١١٩) "وجاءني موسى فوجدته فاضلا في الغاية، قد غلب عليه حب الرياسة وخدمة أرباب الدنيا، وعمل كتابا في الطب ..." البغدادي (عبد اللطيف بن يوسف البغدادي ت٦٢٩ه): رحلة عبداللطيف البغدادي في مصر أو كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، تقديم/ عبد الرحمن عبدالله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨ ،ط٢، ص ٤٢.
(١٢٠) فكتب عبداللطيف البغدادي قبل وصوله لمصر "ثم أني توجهت إلى زيارة القدس ثم إلى صلاح الدين ... فكتب لي صلاح الدين بثلاثين دينارا في كل شهر على ديوان الجامع بدمشق وأطلق أولاده رواتب حتى تقرر لي كل شهر مائة دينار ..." المصدر السابق، ص ص ٤٢- ٤٤.
(١٢١) ف . هايد: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ت/ أحمد محمد رضا، مراجعة: عز الدين فوده، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١، ج ٢، ص ص ٤٧-٥٠؛ زكريا أحمد محمد يوسف: المرجع

السابق، ص ٣٩٩، ٤٠٧، ٤١٠.
(١٢٢) فوزي خالد الطواهية: "النشاط التجاري وحركة الأسعار في مصر زمن الأيوبيين ٥٩٦-٦٤٨هـ/ ١١٧٣- ١٢٥٠م"، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، المجلد ٤٢، العدد٢ ، ٢٠١٥ م، ص٣٠٢.
(١٢٣) أبو شامة: المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٦٠؛ عفاف سيد صبره: العلاقات بين الشرق والغرب ... علاقة البندقية بمصر والشام في الفترة ١١٠٠-١٤٠٠م، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٨٦.
(١٢٤) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٣٤٨.
(١٢٥) المقريزي: السلوك، ج١ ق١، ص ٢١٤؛ زكريا أحمد محمد يوسف: المرجع السابق، ص ٣٥٦.
(١٢٦) Arthur Goldschmidt JR., A Brief History Of Egypt, United States of America, 2008, P. 48.
(١٢٧) زكريا أحمد محمد يوسف: المرجع السابق، ص ٣٥٧.
(١٢٨) "وكان السلطان الملك الناصر يرى له ويستطبه" ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٥٨٢ ؛ جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي: أخبار العلماء بأخبار الحكماء، علق عليه ووضع حواشيه/ إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥، ص ص ٢٣٨-٢٣٩؛ للمزيد من التفاصيل عن مولده وحياته انظر اسرائيل ولفنسون: موسى بن ميمون ... حياته ومصنفاته، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٦، ط ١، ص ص ١-٤٠ .
(١٢٩) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٥٨٢؛ " عن مصنفات موسى بن ميمون الطبية انظر اسرائيل ولفنسون: المرجع السابق، ص ص ١٤٢-١٦٠.
(١٣٠) عبد اللطيف البغدادي: المصدر السابق، ص ٤٢؛ وللمزيد عن مؤلفاته الدينية أنظر اسرائيل ولفنسون: المرجع السابق، ص ص ٤١-١٤١؛القوصي: المرجع السابق ، ص ص ٤٥-٤٧
(١٣١) وليم الصوري: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٨٤- ١٨٥؛ محمد مؤنس عوض: صلاح الدين الأيوبي بين التاريخ والأسطورة، ص٣٠٠.
(١٣٢) ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم بن واصل المتوفي سنة ٦٩٧هـ): مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ،ج ٢، ص٥٦.
(١٣٣) عزام: المرجع السابق، ص ٢٢.
(١٣٤) القاضي الفاضل (٥٢٩-٥٩٦هـ/ ١١٣٥-١٢٠٠م) عبد الرحيم بن علي بن السعيد اللخمي، ولد بعسقلان (بفلسطين) وانتقل إلى الإسكندرية، ثم إلى القاهرة وتوفى فيها. الزركلي (خير الدين الزركلي): الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٧، ط ١٧،ج ٣، ص٣٤٦.
(١٣٥) عماد الدين الكاتب (٥١٩- ٥٩٧ ه/ ١١٢٥- ١٢٠١ م) محمد بن محمد صفي الدين ابن نفيس الدين حامد بن أله، أبوعبد الله، عماد الدين الكاتب الأصبهاني: مؤرخ، عالم بالأدب، من أكابر الكتاب، ولد في أصبهان، وقدم بغداد حدثا، فتأدب وتفقه. واتصل بالوزير عون الدين "ابن هبيرة" فولاه نظر البصرة ثم نظر واسط، ومات الوزير، فضعف أمره، فرحل إلى دمشق، فاستخدم عند السلطان "نور الدين" في ديوان الأنشاء، ثم لحق بصلاح الدين بعد موت نور الدين. الزركلي (خير الدين الزركلي): المصدر السابق، ج ٧، ص ص ٢٦-٢٧.
(١٣٦) للمزيد انظر حجازي عبد المنعم سليمان: "أصداء التخطيط السياسي والعسكري لدى صلاح الدين في رسائل القاضي الفاضل وديوانه"، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة المنوفية، العدد الثالث والثمانون، أكتوبر ٢٠١٠، ص ٢٩٤-٣٢٨.
(١٣٧) محمد مؤنس عوض: المرجع السابق، ص ٢٥٢.
(١٣٨) ذيل وليم الصوري: المصدر السابق، ص ١٠٤.
(١٣٩) بن شداد: النوادر السلطانية، ص ٦٦.
(١٤٠) ذكر ريموناجيل رواية - خلال الحملة الصليبية الأولى- وتحديدا بعد هزيمة الأمير رضوان والاستيلاء على حارم ١٠٩٨م- عن وجود رسل الأفضل الوزير الفاطمي في المعسكر الصليبي، وقد أيد كلٍ من توديبود

ومؤلف أعمال الفرنجة وستيفن كونت بلوا وجود رسل الأفضل في المعسكر، ولا يتعدى ما أورده هؤلاء أن الأفضل قد طلب من الصليبيين عدم التعرض لأملاك دولته في بلاد الشام ويعني فلسطين. إلا أن ريموندا جيل صور الفاطميين وهم يمارسون المراوغة السياسية عندما أشار لتردد ملكهم بين "اختيارنا واختيار الأتراك"، وأزاح الستار عن بنود الصفقة بين الصليبيين والفاطميين ؛ والتي لم تخرج في مجملها عن نطاق ما أشار إليه ابن الأثير الذي كتب عن أحداث لم يشاهدها، لكنه أعطى تفاصيل اتفاق بين الطرفين على اقتسام بلاد الشام، وفيها يستحوذ الصليبيون على شمالها، وتأخذ مصر الفاطمية أرض فلسطين، مع العلم أن مثل هذا التقسيم كان موجودًا قبل وجود السلاجقة في الشام.ومن الجدير بالذكر حول علاقة الفاطميين بالصليبيين، الرأي القائل بأن الفاطميين كانوا يرغبون في مشاركة اللاتين ضد أعدائهم من الأترك؛ وأن الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين (١٠٨١-١١١٨م) كان ميالاً للفاطميين، وحث الصليبيين على التعاون معهم، ولكن الخليفة اقترح أن تقسم بلاد الشام السلجوقية بينه وبين اللاتين، فرفض اللاتين هذا المشروع لأن هدفهم كان السيطرة على بلاد الشام. فإذا كانت روايات اللاتين شهود العيان قد أمدتنا بنصف البرهان على هذا الرأي من خلال تأكيد وجود رسول الفاطميين في المعسكر الصليبي خارج أنطاكية؛ إلا أنه لم ترد في أي من المصادر اللاتينية أو العربية أية نصوص محددة لاتفاقية الأفضل مع اللاتين. وإذا كانت هناك اتفاقية محددة البنود كما أورد ابن الأثير، لكان بوهيمند هو الذي وقعها مع الفاطميين؛ لأنه هو من تولى أمور الصليبيين منذ معركة حارم وحتى سقوط أنطاكية في أيديهم، وبالتالي لكان أوردها مؤلفه الخاص ـ مؤلف أعمال الفرنجة ـ ليبرز دور سيده في تلك الأحداث. وبالعودة لرواية ابن الأثير نجدها تتسم بالاضطراب، ونفهم منها اتصال الفاطميين باللاتين كان قبل خروج الصليبيين من أوروبا، كما أن اقتسام بلاد الشام الذي أشار إليه كان بين "الفرنج والمسلمين" دون تحديد مع أية قوى من القوى الإسلامية. ويمكن تفسير وجود رسل الفاطميين في المعسكر الصليبي على أن الأفضل ـ مثل كل حكام الشرق الإسلامي في ذلك الوقت ـ قد خدع، فلم يتفهم طبيعة الحركة الصليبية، والهدف من وجود الصليبيين في بلاد الشام. ريموندا جيل: تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس،ت/ حسين محمد عطية (المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٢)، ص ١٠٥؛ بطرس توديبود: تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ت/ حسين محمد عطيه (دار المعرفة، الإسكندرية، ١٩٩٩)، ص ١٤٢-١٤٣، المؤرخ المجهول: أعمال الفرنجة، ص ٦٣؛ "أرسل إمبراطور بابل أيضا رسل سراقنة لجيشنا، من خلالها أسس للسلام والوئام معنا"

.Stephen, Count of Blois and Chartres, to his wife, Adele, 1098. In "Letters of the Crusaders written from the Holy Land", in Translations and Reprints from the Original Sources of European History, Dana Carlton Munro, tr. Anded., vol. 1, no. 4 (Philadelphia: Dep. of History of the univ. of Pennsylvania, 1900) p.1-40.

؛ ابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٢٧٣. أحداث عام ٤٩١ هـ؛ عمر كمال توفيق: الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين، دراسات تحليلية وثائقية في التاريخ الدبلوماسي (مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٦)، ص ٦٠.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر الأجنبية:

Ambroise, The Crusade of Richard Lion – Heart, trans. from old Fremch by Merton Jerome Hubert with notes and Docmentation by John La Mont, (New York – 1941).

Anonymous, "Gest Francorum Iherusalem", in Recueil des Historiens des Croisades, Historiens Occidentaux. Tom.IV, Paris, 1866.

اعتمدت الدراسة على الترجمة العربية: المؤرخ المجهول: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ت/ حسن حبشي (دار الفكر العربي).

Anonymous, Itinerarium peregriorum et gesta Regis Ricardi. Ed. And trans. Helen J. Nicholson. Aldershot, UK/ Bookfield VT: Scolar Press, 1997).(

اعتمدت الدراسة على الترجمة العربية: المؤرخ المجهول: الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) ت/ حسن حبشي (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،٢٠٠٠، ج٢).

Anonymous, La Continuation de Guillaume de Tyre (1184- 1197), par Margaret Ruth Morgan, Paris, 1952.

اعتمدت الدراسة على الترجمة العربية: المؤرخ المجهول: ذيل وليم الصوري، ت/ حسن حبشي (الهيئة المصرية، القاهرة، ٢٠٠٢)

Joinville, Histoire de Saint-Louis, Par M. Natalis de Wailly, 1868.

اعتمدت الدراسة على الترجمة العربية: جوانفيل: القديس لويس- حياته وحملاته على مصر والشام، ت/ حسن حبشي (دار المعارف، ١٩٦٨).

Oliver of Paderborn, The Capture of Damietta, trans. J.J. Gavigan, Philadelphia, 1948).(

Petrus Tudebodus, "De Historia Hierosolymitano Itinere", in Recueil des Historiens des Croisades, Historiens Occidentaux. Tom. III.

اعتمدت الدراسة على الترجمة العربية: بطرس توديبود: تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ت/ حسين محمد عطيه (دار المعرفة، الإسكندرية، ١٩٩٩).

Raymond d'Aguilers, Historia Francorum qui ceperunt Iherusalem, in Recueil des Historiens des Croisades, Historiens Occidentaux Tom. III.

اعتمدت الدراسة على الترجمة العربية: ريموندأجيل: تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس،ت/ حسين محمد عطية (المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٢).

Stephen, Count of Blois and Chartres, to his wife, Adele, 1098. In "Letters of the Crusaders written from the Holy Land", in Translations and Reprints from the Original Sources of European History, Dana Carlton Munro, tr. And, ed., vol. 1, no. 4 (Philadelphia: Dep. of History of the univ. of Pennsylvania, 1900) pp. 1- 40.

William of Tyre, A History of the Dees Done Beyond the sea, trans. by E.A. Babcock, A.C. Kery, (New York, 1943- 1947).

اعتمدت الدراسة على الترجمة العربية: وليم الصوري: الحروب الصليبية تاريخ الأعمال التى تمت في بلاد ما وراء البحر، ت/ حسن حبشي، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١-١٩٩٥)، الجزء الرابع.

المصادر العربية:

ابن الأثير(الشيخ العلامة عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ت ٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦.

الإدفوي (كمال الدين أبي الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر الأدفوي الشافعي ت ٧٤٨هـ): الطالع السعيد الجامع

لأسماء الفضلاء والرواة بأعالي الصعيد، مصر، ١٩١٤، ط١.
ابن أبي أصيبعة (موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي ت ٦٦٨هـ): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د. ت).
ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفي ت ٩٣٠هـ): بدائع الزهور في وقائع الدهور،حققها/ محمد مصطفى، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٨، الجزء الأول القسم الأول، ط٣.
ابن أيبك الدواداري (أبو بكر بن عبد الله ت ٧٣٦ه): كنز الدرر وجامع الغرر، ج٧، الدرر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب، تحقيق / سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٩٧٢م.
البغدادي (عبد اللطيف بن يوسف البغدادي ت٦٢٩ه): رحلة عبداللطيف البغدادي في مصر أو كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، تقديم/ عبد الرحمن عبدالله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨، ط٢.
بنيامين التطيلي (ت ٥٦٩ه): رحلة بنيامين التطيلي ... الرحالة الرابي بنيامين بن يونه التطيلي النباري الأندلسي ٥٦١-٥٦٩هـ/ ١١٦٥-١١٧٣م، ت/ عزرا حداد، دراسة وتقديم/ عبد الرحمن عبدالله الشيخ، المجمع الثقافي، أبوظبي، ٢٠٠٢.
ابن تغري بردي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ت ٨٧٤ه): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة، ٢٠٠٥، ط٢، ج٦.
ابن جبير (أبي الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي البلنسي ٥٤٠- ٦١٤هـ/ ١١٤٥- ١٢١٧ م): رحلة إبن جبير، ضبطه ووضع فهارسه : محمد زينهم (دار المعارف، ٢٠٠٠).
ابن خلكان (أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ٦٠٨-٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤.
الزركلي (خير الدين الزركلي): الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٧، ط ١٧.
ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة... تاريخ مصر من بدايات القرن الأول الميلادي حتى نهاية القرن العشرين، تحقيق/ عبد العزيز جمال الدين، الجزء الثالث – المجلد الثاني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٦، ط١.
ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى ت ٦٨٥ه) :النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ... القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب في حلى المغرب، تحقيق/ حسين نصار، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠.
السيوطي (الأمام جلال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عثمان السيوطي المتوفي سنة ٩١١هـ): حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، وضع حواشيه/ خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.
أبي شامة (شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي ت ٦٦٥ه): كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، حققه وعلق عليه/ إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧،ط١.
ابن شداد (بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم ٥٣٩- ٦٣٢هـ/ ١١٤٥-١٢٣٩م): النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الأيوبي)، تحقيق/ جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٤.
ابن شداد (عز الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم المتوفي عام ٦٨٤هـ): الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة لابن شداد،، تاريخ دمشق، عني بنشره و تحقيقه و فهارسه سامي الدهان، دمشق، ١٩٥٦م.
ابن الشعار الموصلي (كمال الدين أبي البركات المبارك ابن الشعار الموصلي ١١٩٧ – ١٢٥٦م) : قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، تحقيق / كمال سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، الجزء التاسع، المجلد السابع .
أبى صالح الأرمني (ت ٦٠٦ه) : تاريخ الشيخ أبى صالح الأرمني .. تذكر فيه أخبار من نواحي مصر وإقطاعها، طبع في المطبعة المدرسية، أوكسفورد، ١٨٩٥.
العماد الأصفهاني (الكاتب ٥١٩ -٥٩٧هـ): الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق و شرح و تقديم محمد محمود صبح، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٣.
عماد الدين الأصفهاني (القاضي الأجل): البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، دراسة وتحقيق/ محمد

علي الطعاني، الأردن- السعودية،٢٠٠٣.
أبي الفدا (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ابن علي ٦٧٢-٧٣٢هـ/ ١٢٧٣- ١٣٣١م) : المختصر في أخبار البشر، تقديم/ حسين مؤنس، تحقيق/ محمد زينهم محمد عزب و يحيى سيد حسين، دار المعارف، ج٣.
القفطي (جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي): أخبار العلماء بأخبار الحكماء، علق عليه ووضع حواشيه/ إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥ .
القلقشندي (أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي ٨٢١هـ-١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الأنشا، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٠، ط٣، ج٤.
ابن القلانسي (أبى يعلى حمزة ت ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م) : ذيل تاريخ دمشق، (الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨).
المقريزي (تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي المتوفي عام ٨٤٥هـ) : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٨٧، ط٢.
----- :اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق/ محمد حلمي محمد احمد، القاهرة، ١٩٩٦، ج٣.
------: البيان والإعراب عمن في أرض مصر من قبائل الأعراب.. ضمن كتاب رسائل المقريزي، دراسة وتحقيق / رمضان البدري وأحمد مصطفى قاسم، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٨، ط١.
------: كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، الجزء الأول - القسم الأول، صححه ووضع حواشيه / محمد مصطفى زيادة، ط٣، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ٢٠٠٦.
بن مماتي (الأسعد بن المهذب بن أبي مليح ت ٦٠٦ه) : كتاب قوانين الدواوين، جمعه وحققه/ عزيز سوريال عطية، القاهرة، ١٩٩١م، ط١.
ابن منقذ (أسامة بن منقذ وهو مؤيد الدولة أبو مظفر أسامة بن مرشد الكناني الشيزري) : كتاب الاعتبار، حرره/ فيليب حتى، د.ف.، الثقافة الدينية، مصر، ٢٠٠١، ط١.
ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم بن واصل المتوفي سنة ٦٩٧هـ): مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق/ جمال الدين الشيال، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٣-١٩٥٧.
الوهراني (ركن الدين محمدبن محمدبن محرز الوهراني(المتوفي عام ٥٧٥هـ): منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، تحقيق/ إبراهيم شعلان ومحمد نغش ومراجعة الدكتور عبد العزيز الأهواني، ألمانيا، ١٩٩٨.
ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي) :معجم البلدان، دار صادر، بيروت،١٩٩٣م، المجلد الثاني.
المراجع الأجنبية:
Arthur Goldschmidt JR., A Brief History Of Egypt, United States of America, 2008.
Introduction To The Coptic Orthodox Church, FR. Tadros Y. Malaty ST. George's Coptic Orthodox Church Sporting – Alexandria Egypt, 1993

المراجع العربية والمترجمة:

أ. ل. بتشر: تاريخ الأمة القبطية وكنيستها، المجلد الثالث، مصر، ١٩٠٦.
إبراهيم زعرور: الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي، رسالة دكتوراة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، ١٩٩٠م.
اسرائيل ولفنسون: موسى بن ميمون ..حياته ومصنفاته، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٦، ط١.
السيد الباز العريني: الشرق الأدنى في العصور الوسطى ..الأيوبيون، دار النهضة العربية، لبنان، ١٩٦٧ .
جمال فوزي: التاريخ والمؤرخون في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية(٥٢١-٦٦٠ه) ، القاهرة، ٢٠٠١.
حجازي عبد المنعم سليمان: "أصداء التخطيط السياسي والعسكري لدى صلاح الدين في رسائل القاضي الفاضل وديوانه"، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة المنوفية، العدد الثالث والثمانون، أكتوبر ٢٠١٠، ص ص٢٩٣-٣٢٨.
محمد حلمي محمد أحمد: "الحياة العلمية في مصر والشام ٥٢١-٦٤٨هـ (١١٢٧-١٢٥٠م) "، المجلة التاريخية المصرية، المجلد السابع، ١٩٥٨م، ص ص ٣-٢٣.
محمد مصطفى زيادة: " ابن واصل .. مفرج الكروب في أخبار بني أيوب .. نشره جمال الدين الشيال " المجلة التاريخية المصرية، العدد الأول، المجلد الرابع، مايو ١٩٥١، ص ص ٢٥٢-٢٥٧.

محمد مؤنس عوض : صلاح الدين بين التاريخ والأسطورة، دار عين،القاهرة، ٢٠٠٨.
محمد مؤنس عوض: ١٠٠ كتاب عن صلاح الدين الأيوبي عرض ونقد، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠١٤م.
محمود الرويضي ومحمد سالم الطراونة :" دور الأرمن في تأسيس إمارتي الرها وأنطاكية الصليبيتين"، حوليات آداب عين شمس، المجلد ٣٠، يوليه - سبتمبر ٢٠٠٢، ص ص ١٧٣-٢٠٢.
ميخائيل مكسي إسكندر : الحضارة المصرية في العصر القبطي الأول.. مصر المسيحية.. من القرن الأول حتى الثامن الميلادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ٢٠١٦.
ناصر عبد الرزاق الملا جاسم : "صورة صلاح الدين في كتاب (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية)"، المجلة الثقافية الأردن، ١٩٩٨م، ص ص ٢٣٩-٢٤٤.
زكريا أحمد محمد يوسف: النشاط التجاري في مصر العصر الأيوبي، ماجستير، كلية الآداب، بنها، ١٩٩٧م.
سعيد عبد الفتاح عاشور : "البنية البشرية لجيوش صلاح الدين"، المجلة العربية للعلوم الانسانية، الكويت، مج ١٠، ع ٣٧، ١٩٩٠، ص ص ٨-٣١.
سيدة إسماعيل كاشف: "تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية لساويرس بن المقفع وأهميته لدراسة التاريخ القومي" المجلة التاريخية المصرية، المجلدان التاسع والعاشر، ٦٠-١٩٦٢، ص ص ١-٣١.
شلبي إبراهيم الجعيدي : طبقة العامة في مصر في العصر الأيوبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ٢٠٠٣.
عبد الرحمن عزام: صلاح الدين وإعادة إحياء المذهب السني، ت/ قاسم عبده قاسم، دار بلومزبري، قطر،٢٠١٣.
عبد المجيد عابدين : البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب للمقريزي مع دراسات في تاريخ العروبه في وادي النيل، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1989، الطبعة الأولى.
عبد اللطيف حمزة: الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، الهيئة العامة للكتاب، مصر، ٢٠١٦.
عزيز سوريال عطية : تاريخ المسيحية الشرقية، ت/ إسحاق عبيد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥.
عطية القوصي: "صلاح الدين واليهود"، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع والعشرون، ١٩٧٧، ص ص ٣٩-٤٨.
عفاف سيد صبره: العلاقات بين الشرق والغرب ..علاقة البندقية بمصر والشام في الفترة ١١٠٠-١٤٠٠م، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٣.
عمر كمال توفيق: الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين، دراسات تحليلية وثائقية في التاريخ الدبلوماسي ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٦.
عمر مصطفى لطف : حكاية يهود مصر..العصر الأيوبي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٣.
عواد المنور: صلاح الدين الأيوبي في الكتابة التاريخية العربية في القرنيين (٦-٧ه/١٢-١٣م) ، رسالة ماجستير لم تنشر بعد، كلية العلوم الإنسانية ، الجزائر ٢٠١٢م.
ف . هايد: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ت/ أحمد محمد رضا، مراجعة: عز الدين فوده، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،١٩٩١.
فوزي خالد الطواهية: "النشاط التجاري وحركة الأسعار في مصر زمن الأيوبيين٥٩٦-٦٤٨هـ/ ١١٧٣-١٢٥٠م"، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، المجلد ٤٢، العدد٢، ٢٠١٥م، ص ص ٢٩١- ٣٠٩.
قاسم عبده قاسم : أهل الذمة في مصر العصور الوسطى .. دراسة وثائقية، دار المعارف،القاهرة، ١٩٧٩، ط٢.
--------- : اليهود في مصر، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٣، ط١.
--------- : في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار عين، القاهرة، ٢٠٠١م
--------- : ماهية الحروب الصليبية ... الإيديولوجية – الدوافع – النتائج، دار عين، القاهرة، ٢٠٠٤.
كامل أسود قادر: دور الكورد الحضاري في مصر وبلاد الشام خلال عهد المماليك الجراكسة (٧٨٤- ٩٢٣هـ/ ١٣٨٢- ١٥١٧ م)، مطبوعات الأكاديمية الكوردية،أربيل، ٢٠١٤م.
لويس شيخو : وزراء النصرانية وكتابها في الإسلام ٦٢٢-١٥١٧م، حققه/ الأب كميل حشيمة اليسوعي،

لبنان – روما، ١٩٨٧.
نظير حسان سعداوي: المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الايوبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٢م.
السير هاملتون.آ.ر. جب. : صلاح الدين دراسات في التاريخ الإسلامي، حررها/ يوسف ايبش، بيسان، بيروت، ١٩٩٦.
هيثم محمود إبراهيم أحمد: الاحتيال في مقامات الحريزي العبرية .. مصادره وأشكاله وأهدافه- دراسة مقارنة، رسالة ماجستير، كلية الآداب بقنا جامعة جنوب الوادي، ٢٠١١.
يعقوب نخلة روفيله : تاريخ الأمة القبطية، مطبعة متروبول، ٢٠٠٢، ط٢.